دكتـــــور

عبـــدالســـلام عبــــده

أستاذ والعقيدة والفلسفة

جـــامعـــة الأزهـــر

التبشير بين الدعوة والادعاء

دراســـــة متـــأنيـــــة لـــدعـــــوة

المبشرين والمستشرقين لدينهم

وادعاءاتهم على الإسلام

والرد عليها

قال تعالى:

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ .

(سورة البقرة : ١٦٤)

وقال تعالى:

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ (٢٧) وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾

(سورة فاطر : ٢٧ و ٢٨)

وقال ﷺ :

« نضَّر الله عبداً سمع مقالتي فوعاها ثم بلغها عني، فرب حامل فقه غير فقيه ، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه »

(فتح الباري ج١ ص١٩٤)

حقائق :

علينا نحن المسلمين أن نعى هذه الحقائق جيداً وهى :

١ – أن يفهم المسلمون هذه السنن الكونية المنبثة من حولهم فى ملك الله الذى استخلفهم فيه ليعمروه بالحق والعدل.

٢ – أن يعوا أنهم لن يمكنوا من أرض الله (تعالى) إلا إذا تفاعلوا التفاعل الصحيح مع هذه السنن.

٣ – أن التاريخ ذاكرة ضرورية للحاضر والمستقبل، فعليهم أن ينخذوا من أحداثه العبر والمثلات.

٤ – أن يدركوا جيداً ما يراد بهم وبدينهم، بقدر ما يحسنوا التعامل مع مخططات أعدائهم الهادفة إلى تدميرهم، وردتهم عن دينهم.

٥ – أن يتخذوا من عبر الماضى ما يقيهم سموم الحاضر والمستقبل، فالحرب بين الإسلام وخصومه لن تضع أوزارها إلا حين يصبح المسلمون قوة لها وزنها فى دنيا المال والجاه والسياسة، ولن يصلوا إلى ذلك إلا إذا اعتصموا بدينهم أولاً ثم اجهدوا أنفسهم للعمل لدنياهم ولآخرتهم على قدم المساواة.

٦ – أن يضعوا نصب أعينهم ما من الله (تعالى) عليهم من ثروات ضخمة مذهلة، وأن يحسنوا استثمارها واستخدامها، وأن يتواحدوا تحت راية دينهم، وتستقم حركتهم فى الحياة على هداه، استقامة تقيهم شر الفتن والتفرق.

إنهم إن فعلوا ركعت الدنيا كلها تحت أقدامهم!!

فهل من سبيل إلى ذلك ؟ !

أ . د/ عبدالسلام عبده

تقـــديـــم :

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا رسـول الله وعلى آله وصحبه والتابعين ومن اهتدى بهديه إلى يوم يبعثـون وبعد..

"فلقد ورثنا أجدادنا الشاهقين، وآباؤنا النابهين ثـروة علميـة طائلة أذهلت القريب والبعيد على حد سواء، وكانت النبـع الصـافى التى استقت منه القرون الوسطى تقدمها، ثم امتد شعاعها إلى القـرون التالية ففجر عبقرياتها نهراً رقراقاً صنع نهضتها، وأمدهـا بأسـباب البقاء، والنماء.

ومصدر هذه الثروة الشاملة لكل ناحية من نواحى الحيـاتين: الأولى، والآخرة، والتى ورثها السلف النابهون الذاكـرون للخلـف الخاملين الغافلين هو إسلامنا الذى دعانا إلى التـأمل فـى جنبـات الوجود بحثاً عما أودع الله فيه من أسرار، وما بث فيه مـن سـنن وآثار هى ساحة العلم، ومصدر الفكر، ومدد التقدم.

ووراء كل إنتاج عظيم من العلوم المعارف تخطيط محكـم، ورجال نابهون أسهروا ليلهم وأدأبوا نهارهم فـى التـأمل والتدبـر والتفكر، أخلصوا لدينهم وأمتهم، ونذروا حياتهم لهما، فنبل ذكرهـم، وعلا صيتهم.

وقيمة العلماء لا تقاس بما أثمروا فى دنيا العلم، فأمدوا العالم بثوابت خصبة، ونظريات دقيقة أفادت منها الدنيا حين أتت أكلها كـل حين بأذن ربها فقط، وإنما تقاس بها وبما بذلوا فى سبيلها من جـهد بنّاء، وما أبدوا من اخلاص وصدق فى سبيل الوصول إلى الحـق،

وما رافق مسيرتهم الفالحة من دوافع نبيلة، ومثل رفيعة، وآمال جياشة، ما صاحبها من ثقة فى النفس، واعتداد بالذات.

ولقد كان من آثار هذا الجهد المخلص تراث إسلامى خصب غنى متشعب شامل شمول الدين الذى نما فى حقله، كاتساع الرقعة الفسيحة التى ازدهر فيها ثم مد أروقته إلى العالم بأثره منهجاً وتطبيقاً، متنوعاً لتنوع الكفاءات والمواهب التى انتشرت فى أرجاء المعمورة بعد أن نما وترعرع فى قلب العلم ووسطه فكانت منتجاته من عمل العقل والقلب والخيال، فلسفة، وتصوفاً، وشعراً، ثم كيمياء، وفلكاً، وهندسة، وطب.

وكان أعظم حدث فى تاريخ العلم هو اكتشاف المسلمون للمنهجين: التجريدى، والتجريبى معاً، ومعرفة أسسهما الصحيحة من استقراء، وملاحظة، وتجربة، وتوريث الأجيال الملاحقة أصول البحث العلمى الدقيق والصحيح، وقد دلت وتدل على ذلك آثارهم التى أقاموها فى بلاد الأندلس فى القرن العاشر والتى كان عملهم فيها لم يكن لمجرد المتعة، ولا لإظهار البراعة فقط، بل كان لخدمة البشرية فى كل شأن من شئونها، أن حضارتهم كانت حضارة علمية متكاملة لم يعرفها البشر قبلهم.

ولقد كان للمسلمين فضلهم الذى لا يبارى فى الحفاظ على التراث الإنسانى فقد نقلوه إلى لسانهم، وأشاعوه فصانوه من الضياع، ولم يكتفوا بذلك بل زادوه وقداً من عقولهم، وضموا إليه الكثير من ثمرات عبقريتهم، وتوسعوا به فى مجالات شتى فلم يكونوا مجرد معبر للحضارات القديمة توصلت من خلاله إلى عصر النهضة، وإنما أضافوا إليه الكثير من المعارف المبتكرة التى أثرته، ونمته، مستندين فى ذلك إلى قواعد ثابتة، وتنظيم عقلى محكم، فتركوا آثاراً

علمية، وتراثاً فكرياً ضخماً فاق فى ضخامته ما خلفته اليونان والرومان، والهنود، والفرس مجتمعة، رغم ما ضاع منه مما أتلفته الحروب والحرائق والبلى وملاحقات محاكم التفتيش فى أسبانيا.

لقد كان أجدادنا بناة حضارة مزهرة مثمرة أصيلة متجددة نكتفى منها اليوم بالتغنى بأمجادها، حين أنجب هؤلاء العمالقة - عباد الليل، وفرسان النهار، الذين ورثنا عنهم الثروة الفكرية العجيبة - خلفوا أشباه الرجال الذين غفلوا عن تراثهم وثرائهم فأصابهم ما أصاب غيرهم من أمم نسيت ميراثها، وغفلت عن تاريخها فرضيت بفتات من اقتاتوا، بفتات آبائهم بالأمس القريب فكانت الطامة الكبرى.

فعندما تصاب أمة من الأمم بفقدان ذاتها تكون قد ابتليت بمرض عضال مدمر، ذلك لأنها حين تنبهر بغيرها تنسى هويتها وقيمها وأخلاقها ومناهجها ونظمها، ورجالها وتاريخها وعادتها وتقاليدها، ويعد هذا كله من سقط المتاع فتكون - بذلك - قد حكمت على نفسها بالموت وعلى تراثها بالمحو وعلى تاريخها بالفناء.

وقد ابتليت أمتنا المسلمة بهذا الداء المميت يوم تاه أبناؤها فى دهاليز الغرب المظلمة، وأعجبوا بحضارته وراحوا يقتاتون بفتات من تتلمذوا على فكر آبائهم.

ولقد كان جهلنا فى هذا المضمار مركباً حين جهلنا خطر متابعتنا لغيرنا وإهمال عاداتنا وأخلاقنا وآدابنا، وجهلنا بخطأ ما نحونا إليه وفداحة مصيبته.

ولقد تخيل السذج من الأمة أن هذا السرطان يمكن علاجه بالاسبؤين فكانت الطامة الكبرى.

والعجيب أن قابليتنا للذوبان في الغرب قد فاقت كل تصور، وقبولنا لهذا الغزو الفكرى الذى استهدف مقومات وجودنا، وأسس أصالتنا كان بدرجة عالية أذهلت الغرب نفسه.

ولقد قدمت الحضارة الغربية مبادئها الهدامة في ثوب قشيب، عجيب أغرى أمتنا المبهورة المهزوزة، وقدمتها بمسميات وشعارات براقة كالاشتراكية، والقومية، والوطنية والديمقراطية والحرية، وفلسفة الارتقاء والتطور.

ولقد مرت على أمتنا في مطلع القرن العشرين حقبة كئيبة مظلمة راحت فيها سوق هذه الأفكار الموبوءة، والمذاهب المخرفة حتى ظن خصومنا أن هذه الأمة ستلفظ أنفاسها عما قريب لكن الله (تعالى) سلم؛ فقد انبرى من أمتنا رجال أطهار صدقوا ما عاهدوا الله عليه فنذروا حياتهم للدفاع عن الإسلام عرضاً لحقائقه، وإبطالاً لشبهات خصومه ومحاربة لمتابعة الغرب والدعوة إلى العودة إلى تراثنا الثرى - والمستقبل - إن شاء الله - مبشر بالخير.

والدراسة التى بين يديك تبين عن الغزو الفكرى خاصة العقدى منه لأمتنا بغية ردة المسلمين عن دينهم ثم نعقب العرض بالرد.

غفر الله (تعالى) لوالدى المرحومين، وشملهما بسابغ رحمته ورضوانه، وهيأ الله أمتى إلى ما تصبوا إليه من غاية، وما تنشده من هدف.

أ . د/ عبدالسلام عبده

أهميـــة هـــذه الـــدراســـة

لحركة الاستشراق - بما نشـرته عـن عقائدنـا وشـرائعنا وأخلاقنا - منذ نشأتها آثارها على عالمنا الإسلامى، الأمر الذى لفـت أنظار علماء الأمة إلى أهمية دراسة فكر المستشرقين، ومـا قدمـوه عن المشرق الإسلامى. للمبشرين الذين هاجموا ديننا فـــى عقـائده وشرائعه وأخلاقه.

وبالرغم من اختلاف نظرة المعنييـن بـهذا الأمـر لتبـاين ثقافاتهم، واتجاهاتهم الفكرية التى تتأرجح بين الإعجاب والتقدير مـن جانب، والسخط والتحقير من جانب آخر؛ فإن أهمية دراســة فكـر المستشرقين ترجع إلى ما يلى:

أولاً : حق كل أمة فى معرفة ما يقال عنها من غير أبنائها:

لبعض المستشرقين آراؤهم الفجة حول موروثاتنا الإسـلامية، كشفت عن نواياهم، وحددت معالم ثقافتهم واتجاهاتهم الفكرية الأمـر الذى يحتم على علماء الأمة دراسة ما دونّه رجال الاستشراق جميعاً دراسة متأنية واعية تتضح على صفحتها الهادئة أو الثائرة معالم مـا عرضوا به الحق الذى تنزل به وحى الله (تعالى).

وفى تقديرنا أن السكوت عن متابعة هذه الأفكار، بل وكشـف مساتيرها وعرضها تقصير بيّن تُعاب به الأمة وتعاتب بل تحاسـب عليه، وينتقص به منهجها الذى تغيا عرض حقائق الإسـلام، ودفـع شبهات خصومه.

ويتأكد هذا المعنى متى أدركنا أن هـؤلاء المـأجورين قـد توغلوا فى دقائق ما جاء به الإسـلام، وتنـاولوا فـروع الشـريعة

الإسلامية، ثم قدموه حسب تصورهم المعوج مغلوطاً شائهاً، ثم سار على نهجهم المستغربون بشبههم وإفكهم، ودافعوا عن زورهم، بل قدموه لأمتهم المسلمة فى ثوب الحق الذى قامت عليه الأرض والسماء؛ فللمستشرقين تلاميذ ومريدون من أمتنا أذهلهم ما عليه الغرب من تقدم مادى فأذعنوا لمرائيه كلها حتى لو تناولت عقائدنا وشرائعنا وأخلاقنا.

لابد - إذن - من معرفة ما يقوله غيرنا من الدارسون لمعتقداتنا، وشرائعنا وأخلاقنا، وثقافتنا وحضارتنا، ومن هنا تبرز أهمية دراسة هذا العلم.

<u>ثانيا:</u> حق الأمة فى تقديم ميراثها الفكرى معافى من الدس والدخيل:

لا نعنى - قط - بمعرفة هذه الأفكار مجرد معرفتها، وإذاعة محتوياتها، بل لابد من تعقبها بتوضيح زيفها، وفضح طواياها؛ فإن السكوت عنها تسليم ضمنى بها خاصة إذا كان القائلون بها ممن ينتمون إلى عالم متطور متقدم كالعالم الغربى يذهلنا تقدمه العلمى الأمر الذى يحتم علينا عرض ديننا عرضاً أميناً صحيحاً معافى من الدس أو التدليس، صريحاً بعيداً عن أى التواء خاصة فيما خاض فيه المستشرقون، وقدموه للعالم بصورة خاطئة: كالجهاد الإسلامى، والجزية ، ورسالة محمد ﷺ وتشريع الإسلام للمرأة، والقضاء والقدر، وما إلى ذلك.

ومما يؤكد ما ذهبنا إليه انشغال المسلمين بما كتبه الغرب، وإعجاب بعضهم بمنهجه ودراسته فى فترة كان فيها معظم العالم الإسلامى يتعثر فى رواسب التخلف، وينشد النهوض من كبوته،

ويتوق إلى تأسيس جامعات متطورة تطاول جامعات الغـــرب فـــي بحوثها العلمية، وتعاملها مع النصوص وفحصها ونقدها، الأمر الـذى حدا بالأمة - بدافع الإعجاب والانبهار - إلى إرسال البعثـــات إلـــى جامعات أوربا لدراسة ما وصلت إليه، وإلى الاستعانة بالمستشـــرقين فى التدريس بالجامعات العربية، وإلى ترجمة إنتاجهم - وقد يكـــون مغلوطاً - وإلى تعيينهم فى المجامع اللغوية والعلمية بمصر وبغـــداد ودمشق.

وإذا كانت أوربا ذات يد طولى، وعقل متقدم فى علوم الدنيـــا فإنه لمن الخطأ بل الخلل العقلى أن نلتمس علوم ديننا أو لغتنـــا مـــن هناك، وبالتالى تعين علينا فى مواجهة هذا أن نقـــدم ديننـــا لأمتنـــا وللعالم كله صحيحاً معافى من الدس نقياً من الدخيل محرراً ميسراً.

ثالثاً : دفع شبهات الطاعنين منهم، وإزهاقها:

الرد على مطاعن المستشرقين الذين أساءوا عرض ما جـــاء به الإسلام من عقائد ربطت الخلق بالحق برباط الطاعـــة والـــولاء، وشرائع ربطت الخلق بالخلق برباط الأخـــوة والصفـــاء، وأخـــلاق استقامت عليها حركة الأمة فى الحياة فكان أبناؤهـــا بـــها منـــارات شاهقة عمرت بهم الدنيا، وازدان بهم تاريخها.

فالرد على المبطلين من المستشـــرقين، وتفنيـــد مفترياتـــهم، وكشف ما يخفون من حقد على الإسلام وراء ما يرتدون من مســـوح علمية أو دينية محايدة أمر يحتمه واجب الدعوة إلى الله (تعالى).

ولقد حاول هؤلاء الأفَّاكون - بدافع الحقـــد علـــى الإســـلام ودعوته ورسوله، وبنزعتهم الصليبية - توهين التعـــاليم الإســـلامية،

والنيل من قيمتها الإنسانية، والحط من حكمتها وبعد نظرهــا فــى معالجة مشاكل الحياة وأحداثها، بقدر ما حاولوا زرع الشكوك حــول الإسلام ودعوته وإليك مطالع أسطرى هذه. وبعض النماذج.

*-نشرت مجلة العالم الإسلامى فى عددهــا الصــادر فــى اكتوبر ١٩٥٥م على لسان أحد المستشرقين قوله:

"إن إله الإسلام جبار مترفع بينما إلـــه المسـيحية عطـوف متواضع ظهر فى صورة إنسان هو الابن الإله . . . فعقيدة التثليث المسيحية قربت الإنسان من الإله، وعقيدة التوحيد الإسلامية باعدت بينهما، وجعلت الإنسان خائفاً متشائماً"[١].

وكان ذلك عند تفسير قوله تعالى ﴿ . . . وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴾[٢].

*-يقول المستشرق الفرنسى "كارادى فو":

"ظل محمد زمناً طويلاً معروفاً فى الغرب معرفة سيئة، فــلا تكاد توجد خرافة ولا فظاظة إلا نسبوها إليه"[٣].

والذى لا يشك فيه عاقل أن لهذا التصور الظالم توابعه فــى مرآى غير المسلمين فى أوربا وأمريكا وآسـيا؛ فقـد دفعـهم هـذا التصور إلى اتهام الإسلام بمــرذول الصفــات، وتصويـر رسـوله المصطفى بما يترفع عنه خلقه وطبعه وشخصه الكريم.

---

١ – انظر – مناهج المستشرقين فى الدراسات العربية الإسلامية – مكتب التربية العربى لدول الخليج ج١ ص٢٢.

٢ – سورة النور : ٤٢ .

٣ – المرجع السابق نقلاً عن كتاب "المحمدية" "لكارادى فو" ص ٢٠ باريس ١٨٩٧م.

*-يصف الإسلام بأنه أسس على التعصب والقوة، وأنه يسمح لأتباعه بالسلب والفجور، وأنه وعد الذين يموتون فى القتال بملذات الجنة.

ثم يتحدث عن الحروب الصليبية فيقول:

"وهكذا تقهقرت قوة الهلال أمام راية الصليب، وانتصر الإنجيل على القرآن، وعلى ما تضمنه من قوانين الأخلاق الساذجة"(١).

إن هناك الكثير من المستشرقين الذين أساؤوا إلى أنفسهم يوم أن اتهموا الإسلام بما هو منه براء يبين عن ذلك واحد منهم حين يقول:

"حين اشتعلت الحرب بين الإسلام والمسيحية، ودامت عدة قرون اشتد النفور بين الفريقين، وأساء كل منهما فهم الآخر، ولكن يجب الاعتراف بأن إساءة الفهم كانت من جانب الغربيين أكثر؛ فعلى إثر المعارك الفكرية العنيفة التى رموا فيها الإسلام بالمساوئ من خلال جدلهم البيزنطى، ودون أن يتعبوا أنفسهم فى دراساتهم، هب الكتاب والشعراء المرتزقة من الغربيين، وأخذوا يهاجمون العرب، فلم تكن مهاجمتهم إلا تهماً باطلة بل متناقضة"(٢).

---

١ - المصدر السابق ص ٢٣ نقلاً من كتاب "البحث عن الدين الحق" لكولى، وهذا الكتاب طبع عام ١٨٢٨م ونال رضا البابا ليون الثالث عشر سنة ١٨٨٧م وعاش فى المدارس المسيحية بالشرق والغرب إلى اليوم.

٢ - المصدر السابق ص٢٣ نقلاً من كتاب؛ حياة محمد لدر منجهايم ص١٢٥ ط باريس ١٩٢٩م.

رابعاً: فضح طوايا المستشرقين، وبيان تورطاتهم فى حق ديننا:

إن التنبيه إلى ما تورط فيه المستشرقين من أخطاء جسيمة فى حق ديننا وحضارتنا ولغتنا، وإماطة اللثام عن سوء نيتهم، وكشف عداوتهم أمر يحتمه علينا طلب الحق وبحثنا عنه؛ فلقد افترى بعض المستشرقين على الإسلام الكثير، بقدر ما زوروا الكثير مما جاء به، ثم قدموه للناس شائها فى ثوب يمجه الطبع السليم والخلق السوى بغية صرف أبنائه عنه أو ردتهم من ذلك.

*-دعواهم أن القرآن من تأليف محمد ﷺ، وأن الرسول قد تأثر فى فواتح السور باليهودية.

والعجيب أن هذه السور ذات الفواتح المقطعة وعددها سبع وعشرون سورة كلها مكية عدا سورتى البقرة، وآل عمران، والرسول ﷺ لم يلتق باليهودية إلا فى المدينة المنورة!!

***-دعواهم أن فواتح السور ليست من القرآن الكريم.**

فقد زعم "نولدكن" المستشرق الألمانى فى كتابه (تاريخ القرآن) أن فواتح السور ليست من القرآن؛ فهى رموز لمجموعات الصحف التى كانت عند المسلمين الأولين قبل أن يوجد المصحف العثمانى فمثلاً: حرف الميم كان رمزاً لمصحف المغيره، والهاء لمصحف أبى هريرة، والصاد لمصحف سعد بن أبى وقاص، والنون لمصحف عثمان.

فهذه الحروف - فى تقديره - إشارات، لملكية المصحف، وقد تركت فى مواطنها من السور سهواً، ثم ألحقها طول الزمن بالقرآن فصارت قرآناً.

وهذا اتهام صارخ لصحابة رسول الله ﷺ بالغفلة، أو بتعمد إضافة ما ليس من كتاب إلى كتاب الله (تعالى) وكلاهما فحش ما يقر عليه قائله(*).

خامساً: الاستفادة من بحوث المستشرقين فى دراساتنا العلمية:

لقد ترك المستشرقون - خاصة من تحرر من قيد الكنيسة الاستعمارية منهم؛ فغلبت على كتاباته السمة العلمية المجردة من الأهواء - ما يمكن الاستفادة منه فى دراساتنا وأبحاثنا عن الإسلام.

وبالرغم من أن تحرير عقول وقلوب ومناهج المستشرقين من الحقد على الإسلام والعداوة له ضرب من المحال - فى تقديرنا، وتقدير المبغضين من الباحثين - فإن لبعضهم مؤلفات خدمت الفكر الإسلامى بقصد منهم أو بدون قصد، نذكر من ذلك:

*-دائرة المعارف الإسلامية التى أصدرها المستشرقون بعدة لغات، والتى عبئوا فى تحريرها كل قواهم ما تعتبر - فى تقديرنا - مرجعاً مهماً لفهم الكثير من مصطلحاتنا، والتعريف بأعلامنا وفرقنا برغم احتوائها العديد من الخلط والتحريف والتزييف والدس.

*-أنهم - فى بحوثهم ودراساتهم - قد أسهموا فى تنمية الثقافات الانسانية؛ فقد قدموا للبشرية عن الإسلام ما يستحق العرض والنقد

---

* - بمشيئة الله (تعالى) سنتعقب أباطيل المستشرقين فى مساحة واسعة من بحثنا هذا .

والتفنيد الأمر الذى حفز علماء الأمة إلى التشمير عن ساعدى الجـد فكانت الدراسات المكثفة للرد والنقض.

على أن من المستشرقين من نسى حقده فكتب فى غفلة عـن الإسلام ونبيه ما حاز به إعجاب الأمة من ذلك:

١ - المستشرق الفرنسى "كلود إتيان سافارى" الذى وصـف رسول الله ﷺ فى مقدمة ترجمته للقرآن الكريم بالعظمة حين قال:

"أسس محمد ديانة عالمية تقوم على عقيدة بسيطة لا تتضمـن إلا ما يقره العقل من إيمان بالإله الواحد الذى يكافئ على الفضيلـة ويعاقب على الرذيلة؛ فالغربى المتنور إن لـم يعـترف بذنوبـه لا يستطيع إلا أن يعتبره من أعظم الرجال الذين ظهروا فى التاريخ".

٢ - المستشرق الإنجليزى "توماس كار ليل" فقد قـال فـى كتابه: "الأبطال وعبادة الأبطال".

"لقد أصبح من أكبر العار على كل فرد متمـدن فـى هـذا العصر أن يصغى إلى القول بأن دين الإسلام كـذب، وأن محمـداً خداع مزور؛ فإن الرسالة التى أداها ذلك الرجل ما زالت السـراج المنير مدة اثنى عشر قرناً لمئات الملايين من الناس أمثالنا خلقهم الله الذى خلقنا".

أكان أحدهم يظن أن هذه الرسالة التى عـاش بـها ومـاتت عليها هذه الملايين الفائقة الحصر والعد أكذوبة وخدعة؟ أما أنا فـلا أستطيع أن أرى هذا الرأى أبداً.

فلو أن الكذب والغش يروجان عند خلق الله هذا الـــــرواج، ويصادفان منهم ذلك التصديق والقبول فما الناس إلا بُله ومجـــــانين، وما الحياة إلا سخف وعبث كان الأولى ألا تخلق".

ثم يدال "كار ليل" شخصية الرسول ﷺ وكشف عن نواحـــى عبقريته التى تتجلى فيها أسمى معـــانى الوحـــى، وانتـــهى إلـــى أن محمداً ﷺ كان مخلصاً فى دعوته صادقاً فى عقيدته مثل غيره مـــن العظماء المؤمنين.

*-بالرغم من أن الاستشراق فى بعض مراحله عاش فـــى كنف الكنيسة، وتحت رعايتها، وبالرغم من أنه لعـــب دوراً فكريـــاً خطيراً فى التمهيد للاستعمار السياسى والثقافى والعسكرى، وأنه قـــام بحركات مريبة هدفت إلى زعزعة ثقة الشعوب المســتعمرة بدينـــها وثقافتها وحضارتها فإن حركته الفكرية لا تخلو من جوانب كتنظيـــم الكتب العربية بالمكتبات العمومية بأوربا ووضع الفهارس لها حتـــى يسهل الرجوع إليها. كما يحسب لهم جهدهم البارز فى التنقيب عـــن المخطوطات الهامة فى تراثنا لتحقيقها ونشرها، وممـــا هـــو جديـــر بالذكر أن الكثير من تراثنا فى بلاد الفرنجـــة، العجيـــب أن بعـــض المستشرقين يعكف على تصنيفه بـــل وتحقيقـــه ونشـــر نصوصـــه، والمضحك أنهم يعكفون على نشر النصوص المفرطـــة أو المغاليـــة لإشاعة أن هذا هو الفكر الإسلامى الصحيح، كما ركزوا على دراسة بعض الشخصيات حتى كادت تقترن أسماء بعضهم بمـــن تفرغـــوا لدراسة شخصياتهم وآثارهم العلمية: كاشتهار "ماسينون"، "بـــالحلاج"، و"لاووست"، "بابن تيمية". على أن منهم نفراً اشتغلوا بدراسة القـــرآن

الكريم وعلومه من ذلك: "تولدكة"، و"بلاشير" و"جيفـــرى" و"جولــد تسهير".

والواقع أن هذه المؤلفات مما لا يمكن إغفالـــها؛ فـــهى إمـــا عارضة للحق منقبة عنه هادفة إليه، فيتعين علينا حفظـــها والحفـــاظ عليها والتنوية بشأنها، وإما مبطلة تتحـــرى طمـــس معـــالم الحـــق، والتلبيس عليه فيتعين على الأمة نقدها ونقضها وتفنيدها، وفى كلتـــا الحالتين يتعين علينا الاهتمام بها ودراستها، خاصـــة وأنـــها تتعلـــق بفكرنا الإسلامى.

لكل هذه الأسباب؛ برزت لدينا أهمية دراسة هذا العلم.

تصديـــر عـــام

معالم :

آثرت أن أقدم بين يدى هذه الدراسة بعـــض المعـــالم التـــى قدمتها تمهيداً لهذه الدراسة التى هدفت - فى المقام الأول - إلى تنبيـه أمتنا المسلمة إلى ما يتهددها من أخطار زاحفة على رسالتها الخـــالدة وعليها من الغرب الصليبى، والشرق الملحد، والصهيونية العالميـــة على قدم المساواة.

<u>أولاً : المعلم الأول:</u>

إن الظلام لزاحف على أمتنا توجهه اليوم وقبله قوى ثـــلاث نذرت نفسها للقضاء على الإسلام، وإسكات مآذنه، وسبيلها إلى هـــذه الغاية الفاجرة واحدة من اثنتين: فإما ردة المسلمين عن دينهم، وإمـــا قتل المسلمين فيقتل الإسلام بقتلهم وهذه القوى الثلاثة هى:

١- الصليبية الغربية :

والغرب اليوم يرفع راية العلمانية، والعلمانية اليـــوم تنـــادى بحبس الدين بين جدران المعابد وتحيل مشاركته فى معترك الحيـــاة؛ فلا كلمة له فى ميادين الاقتصاد فهم ينتهجون فيه مبدأ الرأسمالية ولا رأى له فى السياسة التى يذهبون فيها إلى الديمقراطية، ولا فكر لـــه فى ميدان الاجتماع فهم ينادون فيه بالحرية التى اقتربت من الفوضى بل صارت فوضى فقضت على القيم، والمثل، والأخلاق.

والعجيب أن الغرب الصليبى يغزونا بهذه الفوضى لندع ديننا وقيمنا وأخلاقنا، والأعجب أن فينا ومنا من يروج له، ويتكلم بلسانه ويكتب بقلمه.

وقد يكون هذا مقبولاً لدى الغرب الصليبى الذى يرى فى دينه كهنوتاً ما ينبغى له أن يتجاوز الكنائس، أو يشارك فى قليل أو كثير من ميادين الحياة، بل إن معظم مفكر يهم وفلاسفتهم يرونه علة التأخر وسببه، والعدو الأول للعلم الذى ابتنى نهضتهم، ورقيهم.

لكن هذا مرفوض تماماً بشأن إسلامنا الذى شارك بوحى الله وكلمته فى كل جانب من جوانب الحياة، وخط لها فى كل درب من دروبها سُبلاً أبكاراً فاستبدال غيره به عزل له عن تولى أهم وظائفه، وخراب للدنيا كلها، وهذه جريمة بشعة فى حق الدين والدنيا، بل والإنسانية كلها.

٢- الشيوعية الشرقية :

والشرق والشيوعى يرفع اليوم راية الاشتراكية العلمية (الشيوعية) يضلل بها الطبقات الكادحة والساذجة يوم بناها، على أن الحكم لها، وأن قيادة الأمم للصعاليك، أو ما يسمون بطبقة (البروليتاريا) ويمارس ضلاله وتضليله فى الشرق الإسلامى، وحين يعجز عن تحقيق ما دعا إليه ويصطدم بمرارة الواقع يطور من أسلوب دعوته لينخدع بها المسلمون.

وبقدر ما يرفع أن الشيوعية تتنكر لأى دين بل ترى الدين محض أكذوبة، ولا رب لهذا والوجود.

٣- الصهيونية العالمية :

والصهيونية العالمية العدو الأول للإسـلام تنفـث سـمومها وأحقادها فى أرضنا ومقدراتنـا؛ فـهى أخطـر المذاهـب الدينيـة والسياسية التى ابتليت بها البشرية عامة، وأمتنا بصفة خاصة؛ وذلـك بما تفرضه من قهر سياسى وفكرى.

وبين هذه القوى الثلاثة تعيش أمتنا المسلمة بعدمـا أصابـها التخلف لبعدها عن منهج الله (تعالى) لأنـها تعيـش علـى التمـزق والتفرق والضياع، وافتقاد القيادة الراشدة - تتلمـس النـور وسـط السراب، وتتحسس الطريق وسط الظلام، وما هى ببالغة حتى تعرف قيمها وقيمتها وتتمسك بدينها .

***المعلم الثانى:**

-الأسباب التى أدت إلى تدهور الأمة[١]:

١-بعدها عن كتاب الله وسنة رسوله.

٢-الانهزام الداخلى الذى أصاب شعور الأمة.

٣-تقليد غير المسلمين ومحاكاتهم.

٤- تفكك الأمة وتمزيق وحدتها وتقسيمها إلى دويلات.

٥-تصارع حكام المسلمين فيما بينهم الأمر الذى جعل بأسهم بينـهم شديد وأذهب ريحهم.

---

١ - انظر أساليب الغزو الفكرى د/ جريشة ص ٦ .

٦-تخلف الأمة عن مواكب العصر فى دنيا الصناعة والتجارة والزراعة والسياسة، والفضاء، والسلاح.

٧-غزو خصوم الإسلام للأمة عسكرياً وفكرياً، وفق تخطيط محكم أثيم أنتج الحروب التى خاضها اليهود ولا يزالون والصليبيون ولا يزالون والشيوعيون ولا يزالون قال (تعالى):

﴿ . . . وَلاَ يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنْ اسْتَطَاعُوا. . . ﴾[1].

ثم كان الغزو الفكرى الذى تولى كبره المستشرقون، والمبشرون والماسون، والعلمانيون.

***المعلم الثالث:**

يكاد يجمع المبشرون ومن قبلهم المستشرقون على النقاط التالية:

أ-أن العنصر العربى عنصر تتخلف بفطرته، وطبيعة الجنسية والمناحية الأمر الذى عطل فيه دوافع الإبداع والابتكار.

ب-أن الإسلام دين نهى وأوامر وزواجر وكبت للحريات، الأمر الذى أنتج أمة فاقدة الشخصية، خاضعة لمشيئة غيرها، مسلوبة الإرادة لا يد لها فيما يراد بها.

حـ-إن محمداً : نبى العرب والمسلمين هو أقرب إلى الشخصيات الإصلاحية منه إلى الأنبياء والمرسلين برسالة رب العالمين.

---

١ – سورة البقرة : ٢١٧ .

د-إن دور علماء المسلمين فى كل طور من أطوار التاريخ لم يتعد النقل عن الحضارات واللغات الأخرى: نقلاً حرفياً مجرداً، وأحياناً نقلاً محرفاً دون إضافة أو ابتكار.

هـ-إن علاج الأمة الإسلامية ونجاتها من كبوتها لا وجود له إلا فى الاقتداء بالحضارة الغربية: سلوكاً، وتطبعاً، وثقافة.

و-إن ما جاء به الإسلام من عقائد وشرائع وأخلاق همجية وحشية ظالمة من عند محمد ولا علاقته لها بوحى الله، ومن ثم فهى تتسم بالظلم، والقسوة ولاستبعاد.

ومن هنا فإنهم يبنون هجومهم على الإسلام على هذا التصور: الردىء المتنكر لوحى الله (تعالى)، ولنبيه محمد ﷺ ولرجالات الإسلام، وعلمائه.

***المعلم الرابع :**

مقومات نهوض الأمة المسلمة:

هناك سؤال يتردد دائماً على ألسنتنا وعلى ألسنة الغيوريين من أبناء هذه الأمة: هل مرض أمتنا عضال لا يرجى برؤه، أم أنه عرض لغيرها من أمم شتى فبرئت منه، ثم نهضت من غفلتها، فأعادت الحياة إلى جسدها الخامل المتهالك؟

الجواب أن مرضنا ليس عضالاً، وأن علاجه بأيدينا، فقد وهبنا الله (تعالى) الكثير من النعم والمنن والتى لو استثمرناها لركعت الدنيا كلها تحت أقدامنا.

لقد وهبنا الله (تعالى) الكثير، وعلينا أن نحسن استثماره، نذكر من هذه المنن ما يلى:

أولاً: الموقع الجغرافي:

إن جُل أبناء الأمة الإسلامية يستوطنون مركز الدائرة من العالم كله، الأمر الذى لا يتوفر لأية أمة سوانا.

-ولقد سجل أحد علمائنا بحثاً قيّماً يقول فيه:

"أن الكعبة المشرفة هى مركز دائرة العالم كله بحيث أننا لو أردنا رسم دائرة للعالم كله لكان لزاماً علينا أن يكون ارتكازنا على الكعبة المشرفة ليمكن رسم الدائرة"(١).

الأمر الذى ترتب عليه تحكم أمتنا فى كثير من الممرات المائية، والطرق البرية، والخطوط الجوية، وبالتالى تحكمها فى حركة الحياة، وانتقال سبل معاشها من دولة إلى أخرى، واقترابها من دول العالم القاصية السافات؛ فالمسافة بينها وبين الصين والمسافة بينها وبين الصين واليابان كالمسافة بينها وبين الأمريكتين، وهى تماثل ما يقرب من نصف المسافة بين الصين وأمريكا، فبصرها - إذن - يترامى إلى أقصى الشرق كما يترامى إلى أقصى الغرب على قدم المساواة.

ثانياً : ما تمتلك من ثروات:

لقد حبى الله (تعالى) أمتنا المسلمة الكثير من الثروات، ومَنَّ عليها بالعديد من النعم مما لو أحسنت استثمارها لكانت أمتنا فى مكان الصدارة من العالم؛ فهى من أوفر الناس حظاً فى الطاقات الشمسية، والبترولية، والغازية، بقدر ما أفاء عليها من مناخ طيب، مياه عذبة، وأرض من أخصب بلاد العالم، وغير ذلك من ثروات ضخمة مذهلة هى عصب الحياة، وسبيل نهضتها.

---

١ - من بحث قيم للأستاذ الدكتور/ كمال الدين - الأستاذ بكلية الهندسة .

ثالثاً: الإنسان :

أما عن الإنسان وارث وحى الله إلى هذه الأمـــة فإنـــه مـــن أغلى الخامات البشرية وأثمنها، بعـــد أن تعـــهده الإســـلام بـــالصقل والتهذيب والتأديب فأبان عن معدنه النفيس.

لقد ألبسه الإسلام ما أظهر به قدراته، وكشف عن مســـتور ملكاته فإذا به زينة الدنيا وبهجة أنظارها؛ فقد نزل الإسلام - أول مـــا نزل - فيهم، وهم معدن خام لا يؤبه بهم، ولا ينظر إليهم فحولهم إلى قادة وساسة أذهلوا بعدلهم وحلمهم وشجاعتهم وبرهـــم بخصومـــهم دنيانا كلها.

إن المسلم: كريم فى غير سفه، حليم فى غير ضعف، عزيـــز يأبى الضيم؛ فلا يستباح حماه، ولا ينتهك عرضه، ولا يعتدى علــــى مقدساته، ولذلك كان عمر ﷺ كثيراً ما يردد "إنا قـــوم أعزنـــا الله بالإسلام فلن نطلب العزّ بسواه".

أما عدد الأمة اليوم فقد تجاوز المليار ومائتى ألف مسلم لـــو كانوا ناموساً يطن فى أرجاء العالم لأزعجه.

رابعاً: بعد مركزها عن مواطن الكوارث:

فجُل أبناء الأمة المسلمة يتمركزون فى مواطن عديدة حماهـــا الله (تعالى) من الكوارث: من الزلازل والبراكين والأعاصير إلا فيما ندر؛ فما يقاس - قط - ما يعترى بعض دول أمتنا من أحـــداث بمـــا تضرب به أمريكا وأوربا واليابان وغيرها من دول قدمت فى دنيـــا العلم والصناعة والقضاء من الخوارق المذهلة ما دفعها دفعـــاً إلـــى الصدارة والريادة والتحكم فى مقدرات الكثير من دول العالم.

خامساً: ما تمتلك من أموال سائلة:

لقد شهدت نهاية القرن العشرين زيادة واضحة فى أرصدة الدول العربية الإسلامية فى بنوك الغرب حتى ذكر بعض علماء الاقتصاد أن هذه الدول لو قامت بسحب أرصدتها من بنوك الغرب لتوقفت عن العمل.

****

للإسلام الحنيف جولاته المظفرة مع شانئيه من مستشــرقين حاقدين، ومبشرين ماكرين بـــه، ومحتليــن طــامعين فـــى الأرض والمقدرات حقق الإسلام خلالها الكثير مــن الانتصــارات بمــنّ الله (تعالى) فى ميدانى: اللسان والسنان، ففى أمتنا فـــى كــان عصــر ومصر رجال أطهار أبرار صدقوا، عاهدوا الله عليـــه فمنـــهم مــن قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا.

ويخطئ المسلمون خطأ جسيماً يوم يدور بخلدهم، ولو للحظة واحدة أن الحرب بينهم وبين خصومهم قد وضعت أوزارهـــا، أو أن أعداءهم وأعداء دينهم قد سكنوا عنه وعنهم بعد أن نجحوا فى تفتيت أمتهم، ومحو خلافتهم، وإذهاب ريحهم، وتحويلهم إلى مســخ شــائه فاقد الهوية والشخصية، بعد أن كانوا أمة واحدة عالية البنيان مهيبــة الأركان.

فالحق أن أعداءه - الذين لا يألون جهداً فى حبه ليل نــهار - يستعملون كل وسيلة، ويحيكون كل مؤامرة ويحشـــدون كــل قــوة للقضاء عليه.

وى تقديرنا - أن خطر الكلمة أشد وأنكى مــن الصــاروخ، وإن كانت القنابل والصواريخ لا تزال تتساقط - فى عدوان ســافر - على بلاد المسلمين: فى البوسنة والهرسك، وجنوب لبنـــان، وعلـــى السودان والصومال والعراق، وعلى بلاد البلقان والشيشـــان، وفـــى فلسطين، وغيرها من بلاد إسلامية علاوة على أقليات مسلمة تحيــا فى بلاد غير إسلامية.

لقد شن أعداء الإسلام على الإسلام غارات لا تهدأ ولا تفــتر فى معتقداته وشرائعه، بعد ما غزوا المسلمين فى أزيائهم وأخلاقـــهم

وعاداتهم وتقاليدهم: قامت بذلك الصهيونيـــة العالميـــة، والتنصـــير والاستعمار فبثوا الكثير من النظريات والفلسفات الزائفـــة، فكـــانت جميعها كالحية الرقطاء سرى سمها الزعاف فى جسد الأمة فأنهكـــها، بقدر ما خيم فحيحها الأسود على سمائنا البيضاء الصافية.

هذا وسبيلنا الآن أن نميط اللثام عن هذا الغزو الفكرى الـــذى ابتليت به الأمة الإسلامية، والذى استهدف فى المقـــام الأول ديننـــا لصرف أبنائه عنه أو عزله عن الحياة، ثم الاستيلاء على مقدراتـــها وعلى خيراتها.

المبحث الثانى

الغزو الفكرى لأمتنا المسلمة

أساليبه - أبعاده التاريخية

مظاهره - ركائزه وأدواته

حملاته - فلسفاته - كيفية

الوقاية منه .

مما يجب أن تهتم به أمتنا المسلمة، وأن تشحذ له همتها هو دفع الغزو الفكرى الذى تحشد له أوربا أقلامها، وأســـاطين فكرهـــا بغية تشويه الإسلام، والحيلولة بينه وبين الحياة.

والغزو الفكرى لأمتنا المسلمة ليس وليد اليـــوم أو الأمـــس القريب؛ فقد كانت لآبائنا الأبرار: من سلف الأمة جولاتهم المظفـــرة مع الملاحدة، انتصروا لوحى الله (تعالى) فيها، وردوا سهامهم إلـــى نحورهم، والتاريخ خير شاهد.

ومن الخطأ أو الختل أن يظن مسلم أن الحرب بين الإســـلام وشانئيه قد وضعت أوزارها، ويفحش خطؤه يوم أن يظن أن أعـــداء الإسلام قد سكتوا عنه - وهم يتحالفون ضده، ويمزقون أمته إلى شيع وأحزاب يحارب كلاهما الآخر، ويحشدون - للوقوف فى وجهه كـــل قوة، وفى تقديرنا أن خطر الكلمة أقـــوى مـــن خطـــر الصـــاروخ والطائرة.

وأعداء ديننا اليـــوم - وإن ســـكتوا عـــن قتالنـــا بـــالمدفع والصاروخ-، فإنهم لن يمسكوا عن قتلنا بتشويه ديننا، والعدوان على تراثنا الفكرى.

إنهم يعلنونها - بكل تبجح - فينالوا من الإسلام فى عقيدتـــه وشريعته وتاريخه ورسوله ومشاهير رجاله، فكـــانت هـــذه الحملـــة الشرسة لغزو المسلمين فى عقولهم وقلوبـــهم، وأخلاقـــهم وأزيائـــهم وتعددت لهذه الغاية المرذولة غارتهم فكـــانت ســـموم الصهيونيـــة، والتنصير والاستعمار الفكرى، وبث المبادئ والنظريات والفلســـفات الهدامة، والتيارات العارمة والمذاهب المدمرة التى رحـــب بعـــض المسلمين الذاهلين عن دينهم وتراثهم بها.

وعلينا، وعلى النابهين من أمتنا فضح طوايا هـــذا الغــزو الملحد . ورده على عقبيه، وبيان زيفه ليستبان الحق.

والله (تعالى) بعونه وتوفيقه من وراء القصد.

مفهوم الغزو الفكرى :

كلمة "غزو فكرى" من معطيات العصـــرَ الحديـــث جلبـــها الاستعمار والأوربى على بلادنا إلى بلادنا بصفة خاصة، وإلى العالم النامى بصفة عامة.

وكما شهد العالم - قديمة وحديثة - غزواً عســـكرياً جـــائراً سطت به دول قوية مدججة بالسلاح على أخريات ضعيفات فقتلـــت أبناءها، واستولت على مقدراتها، وأذلتها، وأذاقتها صنـــوف الفقـــر والحرمان. فقد شهد عالمنا المعاصر ذاكم الغزو الفكـــرى، بعـــد أن ذاقت - سلفاً - أمتنا من الغزوين معاً مرارة لا تعدلها مرارة؛ حيـــن لاقت من الغزوين: العسكرى، والفكرى مـــا تشـــيب لـــه نواصـــى الصغار: فالأول قتل - بكـــل وحشـــية وهمجيـــة أبناءهـــا، ونـــهب اقتصادها، وانتهك حرماتها، والثانى شوه تراثها، ونال من أخلاقـــها ودينها ومشاهير رجالها.

وإذا كان الغزو العسكرى معلوم الهوية والكنه؛ فهو زحـــف جيوش جرارة للاستيلاء على دولة أخرى، واستعبادها تحـــت قـــوة السلاح - فما الغز الفكرى؟!

تتضح معالم الغزو الفكرى فى النقاط التالية:

*-أن تظل الشعوب الضعيفة [النامية] خاضعة لنفوذ القـــوى المعادية لها: تلك القوى الكبرى التى تتمثل فى عدد محدود من الدول الكبرى التى يحمى بعضها بعضاً، ويتبـــادل ساســـتها الدفـــاع عـــن المصالح التى تهم أى طرف من أطرافها بغض النظر عما يبدو على

السطح فى بعض الأحيان من خلافات؛ إذ الحق أنها خلافات قشرية لا تتجاوز السطح بحال من الأحوال.

*-أن تظل بلدان العالم الإسلامى - خصوصاً العالم النامى منه - تابعة - تبعية مطلقة، وغير منظورة - لهذه الدول الكبيرة والمتقدمة.

والتبعية بهذه الصورة المهنية تقتل روح الحياة لدى الدول الضعيفة التابعة؛ إذ ليس أضيع لمستقبل أمة من الأمم أكثر من إحساسها بعجزها عن القيام بأمر نفسها، وتخطيط مستقبلها ومصيرها - وهى **تدور فى فلك دولة كبرى ذاهلة عما تعانيه من فقر ومسغبة بقدر ما يعكس دهاء الدول المتبوعة وذكاءها.**

*-أن تتبنى أمة من الأمم - خاصة الإسلامية منها - معتقدات وأفكار وأخلاق وعادات وتقاليد أمة أخرى غير مسلمة دون فحص لمعتقداتها وأخلاقها فتضيع بهذه التبعيه البغيضة أصالتها وتراثها، وتتصرف - راغمة ذاهلة - عن كتاب ربها وسنة نبيها.

*-أن تتخذ أمة من الأمم مناهج التربية والتعليم من مناهج الدول الكبيرة فتطبقها على أبنائها وأجيالها، فتحولهم إلى مسخ شائه لا هدف له إلا تطبيق مناهج الدولة الغازية لفكرهم فيكون حظهم من الحياة الاتباع لا الإبداع والابتكار.

*-أن يحال بين الأمة الإسلامية وبين تاريخها، وماضيها وسير الصالحين النابهين من أسلافها، وأن يحول نشؤها إلى دراسة تاريخ، وسير أعلام النابهين، وقادة الأمة الغالبة الغازية - دراسة موجهة؛ فيحيا نشؤها على باطل ما غرسته الأمة الغازية بقدر ما يذهل عن تراثه، وسير أعلامه، وأخلاقه.

*-أن تزاحم لغة الأمة الغازية لغة الأمة المغلوبة فضلاً عن أنها تحل محلها، ثم تحاربها بإحياء اللهجات العامية والإقليمية، وإذا كان الإنسان لا يفكر إلا بلغته؛ فإن إضعاف لغة أمة هو إضعاف لفكرها، وإحلال لغة الأمة الغالية، هو إخلال لفكرها، فلا تفكر الأمة المغزوه إلا بفكر الأمة الغازية، ولا ترى إلا ما تراه، ولذا نرى المستعمرين يحاربون لغة محتليهم بنفس الضراوة الذى يخططون بها للاستيلاء على مقدراتهم الاقتصادية، والواقع خير شاهد على ذلك فى المغرب العربى، وفيما استعمر من دول فى أفريقيا.

*-أن تسود أخلاق الأمة الغازية أخلاق الأمة المغزوة، وإذا كانت الأخلاق السائدة فى أمة ما هى المعيار الدقيق الذى تقاس به الأمة فإنها يجب أن تكون نابعة من القيمة الأصلية التى يجب أن تسود الأمة، وتحكم سلوكها وتوجه.

*-فإذا استوردت أمة من الأمم أخلاقها وقيمها من أمة أخرى مسخت بذلك شخصيتها، وتنكرت لأصالتها، وعاشت تابعة ذليلة للأمة الغالبة التى قلدت أخلاقها.

هذه - بإيجاز - هى معالم الغزو الفكرى بصفة عامة أما عندما يتعلق الغزو بالعالم الإسلامى، والثقافة الإسلامية فإنه يصوب سهامه السامة إلى عقائدنا، وشرائعنا، وأخلاقنا، ومشاهير رجالنا، وإلى قرآننا، وسنة نبينا، ولغتنا، بل إلى موروثاتنا كلها فيعمد إلى تشويهها، وإثارة الشبهات حولها.

هذا هو مفهوم الغزو الفكرى بصفته: العامة والخاصة.

ثانياً :

الأبعاد التاريخية للغزو الفكرى، ومراحله:

لقد تسلل الفكر الغربى إلى محيطنـــا الإســلامى، بوســائل متعددة، ومنذ أزمان متطاولة، حين اتجهت أنظار الغرب الصليبـــى إلى وطننا وأمتنا المسلمة.

ووجود الغرب الصليبى فى بلادنا لم يكن صدفة: لقد هــدف إلى الاستيلاء على مقدراتنا، وأقواتنا، وليس له من سبيل إلى ذلك إلا حين يفل سلاحنا الذى عشنا به أمة مهيبة الأركان عاليـــة البنيــان، وهو ديننا، ومن هنا كانت دعاويه الكاذبة على الإسلام لتفرغ القلـوب منه فينشأ جيل ينتسب إلى الإسلام ظاهراً، ثم لا يشغله عرض ينتهك أو مال ينتهب أو حمى يستباح.

وبهذا التخطيط المعوج بدأ الغرب حملاته العســكرية علـــى الأمة ثم تبعه الاستشراق والتبشير، ثم عاد الغزو العسكرى مرة ثانية ليقضى على الخلافة الإسلامية: عصام الأمـــة ووجاؤهـــا، ويمـــزق أوصالها، فيعقب هذا الدمار، بث فكرة فصل الديـــن عـــن الدولـــة، والمناداة بالقوميات، فيجند لهذا العدوان على ديننا وأخلاقنا وعاداتنـــا وموروثاتنا كلها من بنى جلدتنا وملتنا من ينادون بدعاويه، ويتبنـــون مرائيه، ويتحدثون بلسانه، أولئك من وصفوا بالمستغربين.

وفى تقديرنا أن الغزو الفكرى - بأهدافه ومراميه - بدأ منـــذ لفجر الدعوة الإسلامية:

* منذ حاول اليهود أن يقول الرسول ﷺ ما فى صدورهم، ويتبنى تحريفهم وتخريفهم وماديتهم المتنكرة - تمام التنكر - لمعانى:

الروح، والغيب، لقد أرادوه نبياً يقول ما تهفوا إليه نفوسهم، وما تصبوا إليه نفوسهم محض افتراء أرادوا به الاستيلاء على مقدرات الجزيرة العربية وغيرها من أقطار تأويهم وتطعمهم من جوع، وتؤمنهم من خوف، بقدر تنكرهم لوحى الله الذى تنزل على الرسول الخاتم ﷺ .

وهذا المنطق المعوج أبان عنه القرآن الكريم حين قال مخاطباً رسوله ﷺ :

﴿ وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ...﴾(١).

فلما لم يستجب الرسول لأفكهم جادلوه في ربه وفى البعث وفى النسخ وفى القبلة وفى إبراهيم وفى المسيح (عليهما السلام) وفى رسالته، ثم أشهروا فى وجه الدعوة السلاح.

*-أما النصارى فقد حملوا لواء الحرب على الإسلام والمسلمين منذ أزمان بعيدة المدى يبين عنها "درمنجهم" حين يقول"

"إن الهوة التى احتفرها المسيحيون والمسلمون(*) فيما بينهم لم تكن فى الحقيقة، بين الإسلام والنصرانية، وإنما كانت نتيجة المنازعات المبنية على سوء التفاهم؛ فأهل الكتاب كانوا بادئ ذى بدء أنصاراً لمحمد ﷺ ثم لم يفتأوا أن أبوا الاعتراف بنبوته، وأن هزئوا به، كما نرى أن المسلمين هم أيضاً من جهتهم تباعدوا ما

---

١ – سورة البقرة : ١٢٠ .

* -هذا من وجهة نظره هو أما المسلمون فإنهم لم يحتفروا هوة قط بل مدوا إلى النصارى يداً مسالمة أمينة لكن حقد الصليبين أبى عليهم مُسالمة المسلمين.

أمكنهم عن النصرانية، وأن مفسرى القرآن بدلاً من أن يظهروا ما بين الديانتين من الموافقات اجتهدوا فى إثبات ما بينهما من المفارقات، فالقرآن أقرب كثيراً إلى النصرانية من السنة المروية، وعلى كل حال الأحاديث المنسوبة إلى الرسول ﷺ هى التى حفرت هذه الهوة بين الديانتين، وفى هذه الأحاديث من الروايات المدخولة والموضوعات ما هو معلوم".

ثم يواصل مزاعمه فيقول:

"ولما نشبت الحروب عدة قرون متطاولة بين المسلمين والمسيحيين ازداد بينهم سوء التفاهم، واشتدت البغضاء كثيراً، ومما يجب أن نعترف به أن أكثر البغضاء كان من جهة المسيحيين، فقد كان البيزنطيون يحتقرون الإسلام، وإنما حملوا عليه بالطعن والقذف بلا فحص، وأخذوا يصورون محمداً ﷺ بصور غريبة جداً، ويشوهون من هذه الصور ما أمكنهم [ويذكر درمنجهم المطاعن التى كانوا يوجهونها إلى النبى ﷺ مما يتعفف قلمنا عن نقله لسخفه وسفاهته وسقوطه حتى أن درمنجهم نفسه ناقله هزئ منه].

فالتناقض الذى بين الملتين كانت قواعده الأساسية أخباراً واهية قيل أن محمداً كان صنماً من ذهب، وأن مساجد المسلمين هى هياكل ملأى بالتماثيل، وقد ورد فى أغنية اسمها "أغنية أنطاكية" ما يفيد أن ناظم تلك الأغنية قد رأى فى تلك الهياكل محمد بشكل صنم من ذهب وفضة راكباً على فيل، وهذا الفيل على قاعدة من الفسيفساء، ثم أن الأغنية المسماه بأغنية "رولان" والتى تمثل فرسان شرلمان، وهم يحطمون أصنام المسلمين، وفيها أن المسلمين يعبدون ثالوثاً مؤلفاً من: ترفا جانت ومحمد وأبولون [وهذا تحريف مضحك مبك؛ إذ أن الإسلام دين الوحدانية ينكر تمام الإنكار لدعوى

التثليث؛ ففيما يقولون تعد صاروخ علـــى عقيـدة الإســلام وعلـــى رســوله المصطفى ﷺ .

ثم إن قصصاً آخر يسمى قصص محمد ورد فيه ما يفيـد أن الإسلام يجيز اشتراك جملة رجال فى زوجة واحدة!!

ولقد طال أمد هذه البغضاء وهذه الأباطيل كثيراً منذ أيـــام "رودلــف دولود هيم" إلى أيامنا هذه أيـــام "نيقــولا دوكــوز" و "فيفيــس" و "مــراش" و "هوتنجر" و "بيلندر" و "بريدو" فقد مثل هـــؤلاء محمـداًﷺ كرجـل كــاذب [عليهم لعنة الله] والإسلام عمل من أعمال الشيطان، والمسلمين كقـــوم همـــج، والقرآن ككتاب منسوخ من أولـــه إلـــى آخـره؛ ملـئ بالمحـــاولات، وكـــانوا بزعمهم لا يجدون حاجة إلى الأخذ والرد فـــى هـــزء كـــهذا... ثـــم إن البابـــا "إنيوشانيوس الثالث" قال عن محمد ﷺ إنه المسيح الدجال.

ولكن فى القرون الوسطى بدءوا ينظرون إليه كرجل مبتـــدع ممن يقال لهم الهراطقة.

ثم ظهر "ريموند رول" فى القرن الرابع عشر، "غليوم بوســـتل" فـــى القرن السادس عشر، و"رولان" و "عانييه" فى القرن الثامن عشـــــر، والأب "لابروجلى" و "رنيان" فى القـــرن التاســـع عشـــر، وكـــانت أحكامهم فى هذا الموضوع متفاوته . . .

أما "فولتير" فقد كتب الرواية المسماه برواية محمـــد وبناهـــا على غير تحقيق، ثم عاد فصحح قسماً كبيراً مما وهن فيه.

وقد ارتكب "مونتسيكو" بعد "باسكال" و "مالبرانس" أغلاطـــاً كثيرة فيما يتعلق بالإسلام نفسه إلا أنه كانت له آراء سديدة، وأحيانـــاً عادية فيما يتعلق بعادات المسلمين.

ثم ظهر الكونت "دو بالانفيليه" و "شول" و "كوسين" و"برسفال" و "دوزى" و "سيرنجر" و "بارتلمى سانتيلير" و"دوكستارى" و "كارليل" وهؤلاء كانوا على وجه الإجمال موافقين للإسلام ولنبى الإسلام، وربما أثنوا عليهما.

غير أن "دروتى" فى سنة ١٨٧٦م و "فوستر" سنة ١٨٢٢م قد أفحشا فى الطعن فى الإسلام، وفى محمد ﷺ ولا يزال للإسلام إلى يومنا هذا أعداء شديدى العصبية"[1].

ويفهم من هذا النص الذى ذكره "لوتروب" أن الغرب الصليبى واليهود يكنان للإسلام وأبنائه العداوة والبغضاء، بقدر ما يحدد لنا الأبعاد التاريخية لهذا العداء البغيض الذى خربه أعداء امتنا على أمتنا منذ فجر الدعوة حين تولى اليهود اليهود، ثم شاركهم فى إشعال نار البغضاء شركاؤهم فى ميراث الكتاب حين حرفوه مثل شركائهم فيه.

لكننا سنغفل الحديث عن أحقاب ممتدة الأجل من العداوة والبغضاء حتى لا يتطاول علينا الأمد، ثم نلتقى مع هذه الأحقاد عام ١٣٥٣هـ منذ عبرت جحافل المسلمين إلى أوربا تحمل أعلام الدولة العثمانية، وتنشر ألويتها وبعد أن اتخذت من أدرنة حاضرة لها فى أوربا.

لقد امتد نفوذها، وامتد سلطانها على بحر إيجه، ثم إلى نهر الطونة فشمل بلغاريا، ومقدونية وتساليا وتراقيا والأدرياتيك ثم

---

١ - من كتاب "الغزو الفكرى والتيارات المعادية للإسلام" من مضبطة المؤتمر الخاص بالفقه الإسلامى الذى عقدته جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية عام ١٤٠١هـ / ١٩٨١م نقلاً عن كتاب "حاضر العالم الإسلامى" تأليف "لوثروب ستوارد" تعريب. "للحجاج نويهض" تعليق "شكيب أرسلان" ص ٨٣ - ٨٥ جداً.

القسطنطينية وألبانيا والبوسنة والصرب وبلاد المجر، وإقريطش وغيرها، وقد حدث في وقت يحدده المؤرخون بثلاثة قرون حيث وقفت جيوش الإسلام المظفرة على أبواب فينا سنة ١٦٨٣م.

***ولقد مر الغزو الفكرى بمراحل ثلاث:**

الأولى :

مرحلة ما قبل إسقاط الخلافة الإسلامية:

وهذه المرحلة تبدأ ببداية الحروب الصليبية على شرقنا المسلم الآمن، والتى دعا إليها البابا "سلفستر" الثانى عام ١٠٠٢م ولكن تأخرت الموافقة عليها إلى عهد البابا "خريغوريوس" عام ١٠٧٥م، وإن كانت قد تأخرت حتى عام ١٠٩٧م(*).

لقد كان رجال الكنيسة فى أوربا يدفعون ملوك أوربا وشعوبها إلى هذه الحروب دفعاً، وتقدمها بطرس الناسك الذى حمل صليبه فى صلف وغرور يقوده شيطان ماكر إلى شرقنا الآمن وإسلامنا المسالم فكانت حرباً دينية بكل المعايير والمقاييس لتفتيت ديننا وأمتنا، ساعدها على تحقيق هدفها تفريق أمتنا، وبعثرة صفها، وتفتتها إلى دويلات لا يجتمعون على كلمة واحدة، ولا يتراصون صفاً واحداً، وتنتهى بسقوط الخلافة الإسلامية. ولم تكن الحملة الصليبية هذه هى أول تحرك عسكرى صليبى أو كتابى ضد الإسلام بل هناك مواجهات عدة سبقت هذا الغزو.

ولم تكن هذه الحملة الصليبية الوقحة هى أول صراع مسلح فرضه أعداء الإسلام على الإسلام بل أن هذا الأسلوب الوحشى

---

* – لنا حديث مطول – إن شاء الله (تعالى) – عند الحديث عن نشأة التصوف.

الدموى قد استعمله أعداء الإسلام ضده؛ وفجر خيوطـــه البيضـــاء تُنسخ فى ليل الجزيرة البارد الطويل، وإلى يومنا هذا:

*-فمع ظـــهور الإســلام - وتحقيقــاً لعالميتــه - أرســل الرسول ﷺ رسله إلى الملوك والرؤساء تحمل هذا النداء الذى أوحــى الله (تعالى) إليه به ﴿ ... قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَــوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًــاً أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾[1].

إلا أن هؤلاء الطواغيت رفضوا هذه الدعوة الكريمــة: فلــم يوافقوا على ألا يعبدوا إلا الله فلا يشركوا به أحدا، ولا يتخذ بعضــهم بعضاً أرباباً من دون الله، ولم يستجيبوا للاعتراف بالإسلام دينــاً وإن لم يؤمنوا به فكانت النتيجة ما أخبر به رسول الله ﷺ : (إذا هلـــك كسرى فلا كسرى بعده، وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده؛ فوالله الذى نفسى بيده لتنفقن كنوزهما فى سبيل الله (تعالى)[2].

وقال ﷺ :

(إن الله سيفتح عليكم بعدى مصر فاستوصوا بقبطها خــيراً؛ فإن لهم رحماً وذمة)[3].

ورداً على هذا الجحود السافر بدأ المسلمون يردون عــدوان غيرهم على دينهم ومقدراتهم فكانت أولى هذه المعارك غزوة تبــوك - بعد إجلاء اليهود عن الجزيرة العربية.

---

١ - سورة آل عمران : ٦٣ .

٢ - متفق عليه : رواه البخارى ومسلم .

٣ - رواه البخارى .

وسبب هذه الغزوة ما بلغ المسلمين من الأنباط: الذين كانوا يتنقلون بين الشام والمدينة للتجارة أن الروم قد جمعت جموعاً غفيرة، وانضمت إليها قبائل لخم وجذام وغيرها من نصارى العرب الذين كانوا تحت إمرة الروم، وأن طلائعهم قد وصلت إلى أرض البلقاء، فدعا الرسول ﷺ المسلمين للخروج إليهم، حدث ذلك فى شهر رجب سنة تسع من الهجرة، وكان الوقت صيفاً شديداً حره وقد خلد الناس إلى الظلال وطابت الثمار فكان الخروج ثقيلاً على النفس الأمر الذى أدى بالثلاثة الذين خلفوا عن القتال إلى القعود.

فلما وصل الرسول ﷺ إلى تبوك لم تجد أثر لجيش الروم فما أن علم الروم بمقدم الرسول ﷺ حتى تفرق جمعهم وتبدد شملهم، لكن يوحنا حاكم أيله جاء إلى رسول الله ﷺ فصالحه على الجزية وكتب عهداً بذلك، وعاد الرسول ﷺ وحوله المسلمون منتصرون بنصر الله (تعالى) لهم.

وفى تقديرنا أن هذا هو أول لقاء مسلح بين المسلمين والنصارى، ثم تلت تبوك - وبعد موت رسول الله ﷺ معركة اليرموك التى وقعت فى جمادى الأولى سنة ثلاث عشرة من الهجرة.

وتولى قيادتها: خالد بن الوليد، وأبو عبيدة بن الجراح، ويزيد بن أبى سفيان، وشرحبيل بن حسنة، وكان عدد المسلمين الذين تجهزوا لها أربعة وأربعون ألفاً، أما الروم فكانوا مائتين وخمسين ألف جندى أعدوا تحت قيادة "تيودور" شقيق هرقل يتقدمهم القسس والرهبان يحملون الصليب يحثونهم على قتل المسلمين،

ويبشرونهم بالنصر عليهم. بيد أن التلاحم فى هذه المعركة الخطيرة لم يدم أكثر من يوم واحد، لم تغرب شمسه إلا عن هزيمة مروعة للروم قتل فيها مائة ألف من الروم النصارى وخسر المسلمون ثلاثة آلاف شهيد من خيرة رجالهم.

وعلى أثر نتيجة هذه المعركة انسحب الروم من الشام، وهروب هرقل إلى القسطنطينية وهو يقول عليك يا سورية السلام - سلاماً لا لقاء بعده.

ثم تلت هذه المعركة فى شوال من العام ١٤هـ معركة القادسية بقيادة: سعد بن أبى وقاص. وغيرها من معارك كثيرة خاضها الإسلام ضد خصومه حسمت لصالح الإسلام.

ما تسرب من الاستعمار عن طريق المستشرقين

عن الإسلام والمسلمين

*-إبعاد الإسلام عن مجال العلاقات بين الأفراد.

*-توقيت الجهاد بعهد الرسول ﷺ وعهد صحابته، أو فكرة إلغائه اليوم.

*-الظروف الدولية تدعو المسلم إلى الولاء لغير المسلم، وإلى رضائه بحكومته.

*-إن الإسلام يتجدد، ويخضع لعوامل الزمن في تطوره الأمر الذى يترتب عليه دعوى عدم التقيد بالماضى أى بالميراث الإسلامى وكيف الإسلام حسب ما يدعو إليه واقع الحياة الآن.

*-الإسلام يتعدد بتعدد شعوبه وأجناسه وتعدد مصادره.

*-الإسلام دين فردى شخصى لا يصح أن يتدخل فى علاقات الأفراد بعضهم ببعض، ويترتب على ذلك فصل الدين عن الدولة.

*-رفض زواج المسلمة بغير المسلم فكرة مبنية على دعوى العنصرية.

*-شريعة الجهاد فى الإسلام منزعها الميل إلى الاعتداء والغزو.

*-قوامة الرجل على المرأة مبناها فكرة التفوق الجنسى.

المبحث الثالث

الاستشراق: نشأته وآثاره

١ - تعريفه

٢ - نشأة الاستشراق

٣ - شروط المستشرق والمنصر

٤ - أهداف الاستشراق

٥ - آثار الاستشراق

٦ - المؤتمرات الصليبية ضد الإسلام

٧ - نماذج من بعض المستشرقين

٨ - من الكتب المشبوهة للإسلام

١- تعريف : بالاستشراق، والتبشير - والاستغراب

***-الاستشراق في اللغة:**

وردت مادة (شرق) فى اللغة بعدة معان منها:

١ - تشريق : وهى تعنى :

أ) تشريق اللحم: أى تقديده، ومنها أيام التشريق وهى الأيام الثلاثة التى تلى يوم عيد الأضحى وسميت بذلك؛ لأن لحوم الأضاحى تقدد فيها، وقيل لأن الأضاحى لا تنحر حتى تشرق الشمس.

ب) الاتجاه ناحية المشرق تقول شرقت مبكراً أى توجهت فى الصباح قبل المشرق.

٢ - الشارق: اسم صنم كان الوثنيون يعبدونه فى الجاهلية.

٣ - الشريق: اسم صنم أيضاً كان يعبد فى الجاهلية.

٤ - شرق: بمعنى دخول الماء فى مكان غير مدخله يقال: شرق الرجل بمعنى دخول الماء فى قصبته الهوائية فأصابه اضطراب فى التنفس.

٥ - المشرق: ورد بعدة معان:

أ) سور بالطائف.

ب) جبل بالطائف.

جـ) العيد ، لأن الصلاة فيه تبدأ بعد الشروق.

د - مصل العيد بمكة المكرمة.

٦ - الشرقاء - الغنم المشقوقة الأذن.

٧ - الشريق - هى المرأة التى أفضت إلى زوجها[١].

هذا فى اللغة .

أما فى الاصطلاح فقد حده المشتغلون بهذا الفن بحدود عــدة نذكر منها ما يلى:

***الاستشراق فى الاصطلاح:**

ذكر المشتغلون بهذا الفن تعريفات عدة للاستشراق تلاقت أو تباعدت فى حدها أو رسمها حسب رؤى أصحابها للمستشرقين علــى اختلاف أنماطهم، نذكر من هذه التعريفات ما يلى:

أ) المستشرقون هم علماء غربيون يعكفون علــى دراســة الحياة الحضارية للأمم الشرقية من حيث لغاتها، وآدابها، وفنونـــها، وعلومها، واقتصادياتها، ومعتقداتها، وعادات أهلها، وتقاليدهم.

ب) طلب علوم الشرق ولغتهم يقال لمن يعنى بذلـــك مــن علماء الفرنجة.

جـ) هم قوم من أوربا نسبوا أنفسهم إلى البحث، وشــغلوها - فى أغلب الأحيان - بالبحث فى التاريخ والدين والاجتماع ولكـــل منهم لغته الأصلية التى رضع لبنها من أمه، وأبيه ومجتمعه، وتفــرغ لحضارة المشرق وعلومه وآدابه.

---

١ - راجع فى ذلك: مختار الصحاح - لأبى بكر بن عبدالقادر الــرازى ص ٣٦ ، لسان العرب لابن منظور مادة (شرق).

والمستشرق: هو عالم غربى درس الحياة الحضارية للأمم الشرقية كما درس عقيدتهم وعاداتهم وتقاليدهم.

وعلى هذه التعاريف كلها مآخذ والأصح فى منظورنا أن المستشرقين هم رجال من غير المسلمين والعرب شغلوا أنفسهم بدراسة الحضارات الشرقية، وآدابها وأديانها، وعاداتها، وتقاليدها بصفة عامة، وعقيدة المسلمين، وشرائعهم وأخلاقهم بغية إثارة الشبهات حول الإسلام والمسلمين بصفة خاصة، وقد غالى بعضهم فى هجومه على الإسلام إلى درجة تثير الاشمئزاز، وقلل بعضهم من هجومه حين وقف على عظمة الإسلام، ونباهة ما جاء به.

ومن خلال هذه التعريفات يمكننا أن نتبين الصفات التى يتفق فيها كل المستشرقين، ويتعين توافرها فيهم:

١ - أن يكون غير مسلم، فلو أن مسلماً يحيا فى بلاد غير المسلمين، واشتغل بعلوم الشرق، وآدابه ومعتقداته ما سمى مستشرقاً.

٢ - أن يكون غير عربى؛ فلو أن عربياً غير مسلم اشتغل بعلوم الشرق، وبذل جهداً بارزا فيها ما سمى مستشرقاً.

٣ - أن تكون له اهتمامات بالشرق المسلم من حيث الدين، والأخلاق، والعادات، والتراث، والآداب، واللغات.

***- الاستغراب معنى :**

يعنى بهذا المصطلح: كل من اشتغل من شرقنا المسلم بآداب العرب وعلومه، ودرس عاداته وتقاليده وحضارته وتمنى نقلها إلى شرقنا المسلم بغية العمل بها واقتفاء أثرها؛ وأمثلة ذلك كثيرة من

رجالات أذهلها ما عليه الغرب من تمدن ونسوا سوآته وشرور التى لا تثمر شجرتها إلا الضرر المحقق لنا ولأمتنا، والقضاء على ديننا وآدابنا وموروثاتنا.

***-التبشير :**

***-الفرق بين الاستشراق والاستغراب . والتبشير.**

هناك فروق شتى بين المصطلحات الثلاثة:

فالفرق بين الاستشراق والاستغراب تتمثله النقاط التالية:

-فالمستشرق يدين بغير الإسلام، والمستغرب مسلم.

-المستشرق غربى المولد والمنشأ والحياة، والمستغرب مولده ومنشأه وحياته بلاد المسلمين فى الشرقين: الأقصى، والأدنى على قدم المساواة.

-المستشرق يهدف إلى دراسة آداب الشرق وفنونه وعلومه وأخلاقه بغية كشف مساتيرها أمام الغرب أو النيل منها، والمستغرب يهدف إلى نقل حضارة الغرب وأخلاقه، وعاداته، وتقاليده إلى شرقنا المسلم لتحتل مكان حضارتنا الإسلامية، وأخلاقنا، وعادتنا وتقاليدنا وموروثاتنا جميعاً.

***-الفرق بين الاستشراق والتبشير:**

الاستشراق والتبشير توأمان نشأ فى غير بلاد العرب والإسلام ورضعا عداوته، وإن اختلفا منبتاً وغاية.

-فمن حيث المنشأ والمنبت فإنه الاستشراق غالباً ما ينشأ فى الجامعات ومراكز البحوث، والهيئات العلمية المتخصصة، أما

التبشير فإنه ينشأ في الكنائس، ومـــا فـــي حكمـــها مـــن مجـــامع ومؤسسات دينية بحتة.

-من حيث الغاية والهدف فإن الاستشراق يفـــترض فيـــه أن تكون غايته علمية استكشافية تهدف في المقام الأول إلى دراسة علوم الشرق وآدابه وعقائده فتقدمها للعالم الغربي دون زيادة أو نقـــص أو تحريف، لكنه التوى عن فطرته فقدم - في مجمله - زيفاً شائهاً عـــن الإسلام اعتمد فيه تيارات خارجة عن الإسلام زاهلة عن الحق الـذي تنزل به ، وأعلن أن الإسلام الحق كما أنه تورط فـــي كثـــير مـــن مؤلفاته في الهجوم عليه بقصد أو بدون قصد.

أما التبشير فإن هدفه ديني بحت يرمي - فـــي المقـــام الأول إلى تحويل الإنسانية كلها إلى المسيحية، خاصـــة المســـلمين الذيـــن يرجون ردتهم عن دينهم، وتحويل مساجدهم إلى كنائس.

٢ - نشأة الاستشراق

من الحقائق التاريخية المسلم بها، والتى يتعين على أمتنا المسلمة أن تعيها جيداً: أن الغرب الصليبى جرد حملات عدة على شرقنا المسلم الآمن المطمئن، وأن بطرس الناسك الذى تولى كبرها أبان عن هويتها وهدفها حين أعلن أنها باسم الصليب، وتحت رايته.

فهى - إذن - حرب إبادة للمسلمين فى شرقهم الآمن؛ فإما أن يقتلوهم فيقتلُوا بقتلهم دينهم، وإما أن يردوهم عن دينهم إن استطاعوا، فهم يبغون بذلك محو الإسلام من الوجود، فلا تكبر الله مآذنه، ولا تنحنى هامات العباد فى مساجده.

وليس صحيحاً على الإطلاق ما يقوله البعض عن هذه الحروب بأنها كانت مجرد حملات استعمارية تغيت الأرض والثمرات!! فهذا وهم ذاهل عن الحق؛ لقد كانت حرباً دينية تهدف فى - المقام الأول - إلى إبادة المسلمين فى الشرق الأوسط، ثم تبعه الاستعمار الاقتصادى حين أبصر السفاحون مقدرات الشرق المسلم وخيراته.

أ) ما قام به آباء الكنيسة - فى أوربا - من دور بارز واضح فى تجبيش هذه الوحوش الزاحفة، وتحمسهم الزائد لها، حتى طالب أحدهم بقيادتها[1].

---

١ - راجع فى ذلك أ) تاريخ الباباوات : لفرناند هايوإدر .

ب) حاضر العالم الإسلامى : لوثروب ستودارد - ترجمة عجاج نويهض.

جـ) مائة مشروع لتقسيم تركيا - لدجوقار .

د) حضارة العرب - لجوستاف لوبون .

*-بل إن أول من دعا إلى هذه الحروب الصليبية هو البابا "سلفستر" الثانى سنة١٠٠٢م لكنه لم يوفق فخلفه على هذه الدعوى الباغية البابا "خريغوريوس" ١٠٧٥م لكنها تأخرت حوالى عشرين سنة فكانت عام١٠٩٧ الميلادى.

*-إن كتّاب النصارى ومفكروهم ورجال دينهم يحرضون عليها، ويتحمسون لها؛ فهى - إذن - حرب فكرية دينية.

أ) كتب "كارلس" الثامن إلى رئيس فرسان رودس يكاشفه بما نواه من نشر الديانة المقدسة "الكاثوليكية" وتحرير المسيحيين مما هم فيه من الخضوع للأمة الجاحدة، واسترداد الأراضى المقدسة المغتصبة، فأجاب رئيس الفرسان متمنياً مؤسلاً فى هذه المرة سنستأصل شأفة الأمة الملعونة: أمة "محمد"!!

ب) حقد أباء الكنيسة بصفة خاصة، وأوربا بصفة عامة على الإسلام الذى امتدت فتوحات مجاهديه حتى وصلت إلى قلب أوربا، وجنوب فرنسا فأضحى البحر الأبيض المتوسط بحيرة إسلامية فدفعهم حقدهم الدفين فقادوا حملتهم الغاشمة للثأر من الإسلام لا للاستيلاء على مقدرات الشرق الإسلامى.

جـ) محاولة ردة المسلمين إلى المسيحية ذاكم الهدف الذى أتعب المسيحيون أنفسهم طويلاً من أجله، والذى نبه القرآن الكريم أمته إليه منذ فجر الدعوة فقال مخاطباً الرسول ﷺ والتنبيه لنا جميعاً.

﴿ وَلَنْ تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ... ﴾[1].

---

١ - سورة البقرة : ١٢٠ .

وقوله (تعالى):

﴿ وَلاَ يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا... ﴾[1].

ويرى بعض الباحثين أن اليهود كانوا وراء الحروب الصليبية بغية إضعاف المسلمين والمسيحيين على قدم المساواة، واستثماراً لهذه الحروب فى الاتجار، ونشر الربا استغلالاً لضوائق كلا الفريقين.

ولقد ساعد هؤلاء المغيرين، وسهل مهمتهم تفريق الأمة، وانقسامها، إلى دويلات ضعيفة، وتفرق كلمتها، وبعثرة صفها، وعزوفها عن دينها؛ فدخل الصليبيون بيت المقدس.

لكن هذه الحملة الشرسة التى قادها حقد الصليبيين الأعمى ما لبثت أن باءت بالفشل؛ إذ قيض الله (تعالى) لهذه الأمة النابهة من أبنائها من قادها - بتوفيق الله وعونه - من نصر إلى نصر مثل "نورالدين محمود بن زنكى" وهو تركى، و "صلاح الدين الأيوبى" وهو كردى، فآبت فلول الصليبية إلى أوربتهم يجرون وراءهم أذيال هزيمتهم المذهلة فأيقن الغرب الصليبى أن الغزو العسكرى تجربة فاشلة فقرر أن يحول الهجوم العسكرى إلى هجوم دينى عقدى فكان الاستشراق، وربيبه التبشير.

والاستشراق - فى تقديرنا - يمثل قمة الصراع الفكرى بين العالمين الإسلامى من جانب، والشرقى الملحد، والغربى الصليبى من جانب آخر.

---

١ - سورة البقرة : ٢١٧ .

والاستشراق قضية تتناقض حولها الآراء فى عالمنا العربى الإسلامى: فهناك من يؤيده، ويتحمس له، بل ويرى له آثاره الإيجابية والمثمرة فى عالمنا العربى والإسلامى حفظاً للتراث الإسلامى، وتقديماً لآدابه وفنونه وديانته، وهناك من يرفضه وينكره، ويراه عدوا لدوداً للإسلام والمسلمين، ويحصى عليه آثاره السلبية وأهدافه المدمرة، وغاياته الهادفة إلى تشويه صورة الإسلام والمسلمين.

والواقع الذى لا يمكن إنكاره أن اشتغال بعض علماء الغرب بأحوال الشرق المسلم لم تهدف إلى خدمة الشرق المسلم قط، ولم تبغ الحفاظ على تراثه وآدابه وأخلاقه، ولم تبغ استنقاذ تراثه الدينى، أو عرضه عرضاً أميناً محايداً؛ ذلك لأن حركة الاستشراق بدأت فى رعاية الكنيسة الكاثوليكية المعروفة بحقدها على الإسلام والمسلمين، بقدر ما خضعت لاشراف أحبارها ورهبانها الذين كانوا هم رسلها الأولين، والاستعمار الأوربى وإن كان قد تلقفها بعد ذلك إلا أن منبتها كان له أثره العميق فى نفوس من اشتغلوا به بعد ذلك من قناصل الغرب العاملين فى سفاراته فى عالمنا الإسلامى.

والدراسة التى بين أيدينا، والتى نقدمها للفكر الإنسانى الآن، إنما تهدف - فى المقام الأول - إلى بيان منهج المستشرقين فى دراسة موروثات الشرق الإسلامى، وإيضاح أهدافهم، ومشاهير رجالهم، وآثارهم على العالمين! الإسلامى، وغيره على قدم المساواة، وكيف أسس لظهور التبشير، فكان ساحته الواسعة، وتربته الخصبة التى أمدته بأسباب البقاء والنماء. ثم التعريف بالتبشير، وبيان خططه، وشبهه، ومؤتمراته، ومشاهير رجاله.

٣- شروط المستشرق والمنصر

الشروط التى يفضل توافرها فى كل مستشرق كـما أوردهـا المؤتمر التنصيرى بالولايات المتحدة الأمريكية عام١٩٧٨م؛ فقـد اشترط فى المستشرق والمنصر ما يلى:

أولاً:

التمكن من اللغة العربية، والأوربية حيث يتحدث غالبية المسلمين.

ثانياً :

التعرف على مصادر الفكر الإسلامى القديمة، والحديثة على قدم المساواة.

ثالثاً :

التحلى بالصبر والحزم فى نقاش المسلمين ومجادلاتهم.

رابعاً:

الشعور المتعاطف الذى يمكنه أن يقود المسلم من الحقـائق التى يؤمن بها إلى الحقيقة المطلقة.

خامساً :

الاستعداد لنبذ الطرق القديمة البالية التى تثير الكثير من الجدل.

سادساً :

أن يكون لديه روح بالأمل[١].

١- الكتاب الخاص بهذا المؤتمر المشار إليه ص ٢٨.

٤ - أهداف الاستشراق:

حين عجزت حملات الغرب العسكرية الضارية عن تحقيـق أهدافها أيقن الغرب أنه مـهما ضعفـت أمـة الإسـلام عسـكرياً، واقتصادياً، بل وتفر بنوها إلى دويلات، وأقليات فإنـه لا يسـتطاع النيل منها إلا بالنيل من عقائدها أولاً، ففكرو فى غزوهم عقدياً عـن طريق ما يسمى بالتبشير.

لكنهم رأوا أن يمهدوا لهذا المخطط الجديد بدراسـة عقـائد المسلمين وشرائعهم وأخلاقهم وآدابهم، ويدعون فى دراسـتهم هـذه الحيدة والنزاهة، لينخدع بهم المسلمون فقدموا للتبشير بالاستشراق.

فقبل أن يظهر التبشير كبديل عن الحروب الصليبية فكـروا فى التمهيد له بأسلوب ومهج جديدين؛ إذ نفر قوم من الغربيين بدافـع التعصب الصليبى للكتابة عن الإسلام فأفقدهم تعصبهم الأعمى أمانـة العلم والبحث النزيهين فكانت مآسيهم الفادحة التى نجترهـا فترسـم لمرائينا صورة فجة للمغالطات والأكاذيب التى يعرضون بها دين الله الحق فى هذه المسوخ الشائهة.

وإليكم هذه الأكاذيب:

أ) القرآن من وضع محمـد ﷺ وأن سـذاجة الصحابـة وبداوتهم هى التى دفعتهم إلى الإيمان بأنه من عند الله.

ب) مصادر التشريع الإسلامى كلها من صنـع المسـلمين؛ فليست لدى المسلمين مصادر إلهية (قرآن وسـنة) همـا وحـى الله (تعالى) إلى نبيه ومصطفاه محمد ﷺ فخلطوا بين وحى الله واجتهاد البشر وكان خلطهم بسوء نية لا بسذاجة فكرية.

جـ) حاربوا الجهاد، ونالوا منه كتشريع إسلامى لحماية الدين والوطن، ودعوا إلى التصوف الإسلامى كمنهج يصرف الناس عن الدنيا ويدعوهم إلى الزهد فيها.

د) أثاروا الكثير من الشبهات حول التشريع الإسلامى مثل:

١ - الجزية .

٢ - تعدد الزوجات.

٣ - إباحة الطلاق .

٤ - تشريع الإسلام للمرأة فى الميراث، والشهادة.

هـ) نادوا بأن المسلمين أجبروا الناس على الدخول فى الإسلام بحد السيف.

و) طعنوا فى رسالة محمد ﷺ .

ز) طعنوا فى زواج الرسول ﷺ .

ح) طعنو فى بعض ما جاء به الإسلام من عقائد.

وسنتناول هذا بالتفصيل ونرد عليه فى حينه من مؤلفنا هذا - بمشيئة الله (تعالى).

ومما يؤكد هذا المعنى الذى ذهبنا إليه من أن فشل الصليبية العسكرى هو الدافع إلى دراسة الثقافة الإسلامية بغية ضعفها فتضعف بضعفها شوكة المسلمين ما جاء مؤخراً فى وصية القديس "لويس ملك فرنسا، وقائد الحملة الصليبية الثامنة التى انتهت بالفشل والهزيمة ووقوع "لويس" فى أسر المصريين وسجنه فى دار "ابن لقمان" بالمنصورة، فبذل فدية عظيمة لخلاصه من الأسر، وبعد

عودته إلى فرنسا أيقن أنه لا سبيل إلى النصـــر، والتغلــب علـــى المسلمين عن طريق القوة الحربية؛ فدينهم يأبى عليـــهم ذاك؛ فـــهو يحرم عليهم الاستكانة والضعف، فلا يســـتباح حمـــاهم، ولا تنتـــهك أعراضهم، ولا تنتهب أموالهم.

وإنما السبيل الوحيد هو ترويض المسلمين عن طريق الغـزو الفكرى، فينبرى لهذه المهمة لفيف من الأوربيين مـــن ذوى الحقـد الدفين على الإسلام فيدرسوا الإسلام دراسة موجهة لإثارة الشـــبهات حول شريعته، وتزييف عقيدته، والطعن فـــى حضارتـــه وأخـــلاق رجاله.

وقد سار الأوربيون على وصية هذا الطليـــق الحـــاقد فـــى تزييف العقيدة الإسلامية، وامتصاص ما فيها من قوة وجهاد وإيمـــان هو كالعصب لحياة المسلم؛ فنادوا بالتفريق بين العقيـــدة والشـــريعة، وتصوير الإسلام بأنه دين كهنوتى: يفرغ كـــل همـــه فـــى العبـــادة كالمسيحية، وينادى مثلها بالفصل بين الدين والدولـــة هكـــذا كـــانت البداية.

-وقد نتج عن هذا المخطط الآثم آفتين:

الأولى:

الحيلولة بين المسلمين، وبين حرارة الإيمان ســـلاحهم الأول فى مواجهة عدو الله وعدوهم، بما يتيح لخصوم الإســـلام الســـيطرة على مقدراتهم حين تعجز نفوسهم عن الدفاع عن حرماتهم، وتطمـس مفاهيم عقيدتهم لتحل مكانها الصداقة بين المغلوب والغالب تحـــت أى اسم يريدون، وتفتقد شرائعهم فهى عامل تـــأخرهم لتحـــل مكانـــها: الحضارة والمدنية.

الثانية:

الحيلولة دون وصول المفاهيم الإسلامية الصحيحة إلى أوربا التى أذهلتها سماحة الإسلام وعدالته وبره ورحمته فدخل أبناؤها فـــى دين الله أفواجاً؛ فقد هب رجال الكنيسة - وقد هالهم الخطب - فأخذوا فى الافتراء على الإسلام، وتشويه صورته ليصدوا المسلمين عـــن دينهم وليغلقوا الباب فى وجه مسيحيى أوربا فـــلا يفتحـــوا عقولـــهم للإسلام أو لدعوته.

وجاء القرن الثالث عشر الهجرى، الثامن عشر الميـــلادى، فحاول المستشرقون أن يهدءوا من غلوائهم، وأن يظـــهروا بمظـــهر جديد هو ما ادعوه من تحرير الاستشراق من الأغراض التنصيريـــة ليتمحض للبحث النزيه فكانت الأنماط التالية:

*-إنشاء كليات لتدريس اللغات الشرقية فى عواصم أوربـــا مثل لندن، وباريس، وليدن، وبرلين، وبطرسبرج، وغيرها.

*-ظهرت فى هذه الكليات أقسام لتدريس اللغات الإســلامية: كالعربية، والفارسية، والتركية، والأوربية، وكان الغرض الأول منها تزويد السلطات الاستعمارية بخبراء فى الشئون الإسلامية، والعجيب أن المثير من الطلاب المسلمين أخذوا يأمونها للدراسة بها.

*-تسلل المستشرقون إلى الدوائر العلمية، والجامعات فـــى الدول الإسلامية، والمجامع العلمية، فكان لهم وجودهم الواضح فـــى دمشق وبغداد والقاهرة، وقامت المؤسســـات الدينيـــة، والسياســـية، والاقتصادية، بالإنفاق على المستشرقين وتقديم المنح والعون لهم.

لقد أنشأت الدول العربية العديد من المؤسسات فـــى البـــلاد الإسلامية التى خضعت لنفوذها لخدمة الاستشراق ظاهراً، وإن كـــان الهدف الحقيقى هو الغزو الفكرى عن طريق التبشير، نذكر من هـــذه المؤسسات:

أ) المعهد الشرقى بدير الدمينيكان.

ب) المعهد الفرنسى. جـــ) ندوة الكتاب.

د) دار السلام. هـــ) الجامعة الأمريكية.

***وفى لبنان:**

أ) جامعة القديس يوسف، وهى جامعة بابويـــة كاثوليكيـــة، وتعرف الآن باسم الجامعة اليسوعية.

ب) الجامعة الأمريكية ببيروت، وكانت تســـمى مـــن قبـــل الكلية السورية الإنجيلية وهى بروتستنتية.

***وفى سورية:**

-مدارس اللاييك، والفرير، ودار السلام، وغيرها. وهكـــذا فى كل الأقطار الإسلامية.

ولقد هدفت هذه المؤسسات كلها إلى تحقيق آمال الاستشـــراق التى تتمثل فيما يلى:

<u>أولاً:</u>

تحجيم المد الإسلامى، والحيلولة بينه وبين الشعوب المسيحية، فقد أجهد المستشرقون أنفسهم فى حجب محاسن الإسلام، بل وتشـــويه صورته، لإقناع أقوامهم بعدم صلاحيته للحياة.

وكان ذلك عقب عودة المحاربين الصليبيين إلى أوربا بعد أن عاشروا المسلمين، وأدركوا ما يتمتعون به من خلق رفيع علمهم إياه دينهم، وبعد أن حملوا معهم إلى أوربا هذه الصورة المشرقة.

***لقد عمد آباء الكنيسة إلى:**

أ) إسكات الألسنة المنصفة التى تعرض الإسلام بأمانة وإنصاف فتمحوا الصورة الكئيبة التى رسمتها الكنيسة له، ثم بثتها فى أوربا كلها.

ب) محاولة ترجمة القرآن الكريم لتزييف مفاهيمه، وانتقاصها.

جـ) محاولة استغلال كراهية أوربا للإسلام الذى امتدت فتوحاته إلى قلب أوربا على أيدى العثمانيين، فعمل المستشرقون على تعميق الكراهية، والأحقاد فى نفوس الأوربيين، وتغذيتها بالشبهات والأباطيل بهدف حجب الإسلام عن أوربا.

ثانياً :

صرف المسلمين عن دينهم لإضعاف شوكتهم، وتمكين الاستعمار من بلادهم بعد تحطيم روح المقاومة الإسلامية، وذلك بما يلى:

١ - بتأويل الجهاد، وصرف أنظار الناس عنه، ودعوتهم إلى الدعة والتعود عن الجهاد فى سبيل الله.

٢ - الدعوة إلى الاشتغال بالعبادة، والزهد وتسميتها بالجهاد الأكبر.

٣ - تحطيم وحدة المسلمين بتمزيق أمتهم إلى دويلات متناحرة.

٤ - عزل الشريعة الإسلامية عن التطبيق، وإحلال الأنظمة: القانونية والاقتصادية، والسياسية، والتربوية.

الأمر الذى أوهن صلة المسلمين بدينهم - مصدر عزتـــهم - لينشأ جيل فارغ القلب واللب من الإيمان فلا يغـــار علـــى عــرض ينتهك، أو مال ينتهب، أو حمى يستباح فيتمكن الاستعمار من البـــلاد، ويظل دون مقاومة.

<u>ثالثا :</u>

عزل المسلمين عن ثقافتـــهم الأصليـــة الثابتـــة الراســـخة، باستبدالها بما يسمونه بالحرية، أو التحضر، أو التمدن وكلها تعـــابير زائفة. أو بتشويه أصول الإسلام وثوابته، وعزلها عـــن مصادرهـــا الأصلية، أو بهدم المقومات الأساسية للكيان الفـــردى. والاجتمـــاعى والنفسى والعقلى للمسلمين، الأمر الذى يؤدى إلى فتح البـــاب أمـــام فكر الاستعمار وثقافته، بقدر مـــا يؤثـــر فـــى نفـــوس المســـلمين، ويزحزحهم عن عقائدهم، فيجد التبشير المسيحى طريقاً يابســـاً إلـــى تحويل ضعاف العقيدة إلى اتباع أو مُلاحدة.

وخلاصة القول أن المستشرقين كـــانوا طلائـــع المبشـــرين؛ فمهدوا الطريق أمامهم بما يلى:

١ - تشكيك المسلمين فى دينهم.

٢ - فتح الباب أمام المبشرين للطعن فـــى الإســـلام، وفـــى رسولهﷺ وقد تم ذلك تحت هذه الدعوى الزائفة والتى مفادها حريـــة البحث، والاستنتاج والتحليل والاستنباط، وذلك كله منهم براء.

وبعد أن تبينا أهداف الاستشراق فإننا بحاجـــة ماســـة إلـــى معرفة آثاره.

٥ - آثار الاستشراق

مما لا شك فيه أن انتشار الإسلام السريع رغم محاربة شانئيه له قد لفت الأنظار بقوة إليه، خاصة أنظار رجال اللاهوت النصرانى الذين بدأوا يتوجهون بأنظارهم إليه.

وهؤلاء لم يدرسوه لإدراك الحق فيه أو اعتناقه، ولكنهم درسوه لإثارة الشبهات حوله، ومن ثم الحد من سيطرته على قلوب غير المسلمين وبخاصة النصارى منهم للحيلولة بينهم وبين الإيمان به، وإلا فإنهم لو درسوه لتبين الحق فيه - وقد أدركوه - فلماذا لم يؤمنوا به؟

ومن هؤلاء الذبن درسوا الإسلام من النصارى فى سنين الإسلام المتقدمة "يوحنا الدمشقى" (٦٧٦ - ٧٤٩م) وكان من مصنفاته فى هذا الصدد لإخوانه النصارى كتاباه: "محاورة مع مسلم"، "إرشاد النصارى فى جدل المسلمين".

والذى لا يجادل فيه مجادل أن هذا الرجل لا يعد على الإطلاق من المستشرقين ذلك لأن الرجل كان من رجال الشرق نشأ فى رحاب الدولة الأموية، وخدم فى بلاط أمراء البيت الأموى، ولأن محاوراته هذه التى قدمها لبنى ملته لا تنحدر إلى تراهات المستشرقين، وأكاذيبهم على الإسلام والمسلمين.

وبرغم عرضنا المبسوط لاختلاف الدارسين حول بداية الاستشراق فإن الذى يعنينا هنا هو بيان الدافع لهذه البداية المبكرة للاستشراق، والذين يبين عنه المشتغلون بهذا الفن بأنه:

*-الصراع الذى دار بين العالمين الإسلامى، والمسـيحى في الأندلس وصقلية.

*-آثار الحروب الصليبية التى خلفتها هزيمتهم فـى نفـوس المهزومين العائدين إلى أوربا بعد مائتى عـام قضوهـا فـى بيـت المقدس، وظنوا أن الدنيا قد دانت لهم هناك.

إذن فالاستشراق فى منظورنا يحمل وجهين:

***الوجه الأول للاستشراق:**

وهذا الوجه من وجهى الاستشراق يمثل تاريخ الصراع بيـن العالم النصرانى الغربى وبين العالم الإسلامى الشرقى فـى القـرون الوسطى وعلى الصعيدين: الدينى، وغيره، وفى هذا الوقـت نشـط اللاهوتيون النصارى ضد الإسلام، وراحـوا ينشـرون الأكـاذيب والافتراءات حوله، ويذيعون الأباطيل حول نبيه ﷺ ، وزعموا فيمـا زعموا أن الإسلام قوة خبيثة شـريرة، وأن محمـداً ﷺ ليـس إلا صنماً، أو إله قبيلـة، أو شـيطاناً، وغـزت الأسـاطير الشـعبية، والخرافات خيال الكتاب اللاتينيين.

بل إنهم عرضوا حكايات مغرقة فى الخيال، وفى الضـلال، والكذب عن الإسلام، اخترعها كتاب لا عهد لهم ولا ذمة ولا ديـن، وصفوا المسلمين فيها بأنهم وثنيون يعبدون الأصنام، أو يعبدون آلهـة ثلاثة هى: "تيرفاجان"، و "محمد"، و"أبوللو".

وقد اعترف بذلك "جيبير النوبتجى" ١٢٢٤ أكبر المؤلفين فى الأدب فى أوربا حين أعلن أنه لا يعتمد فى كتاباته عن الإسلام علـى أية مصادر مكتوبة وإنما يستند فى ما يكتـب عـن الإسـلام علـى

مصادر العامة، وأنه لا يوجد لديه أية وسيلة للتمييز بين الخطأ والصواب، ثم قال مبرراً كتاباته الارتجالية العشوائية الموجهة ضد الإسلام، ونبيه الحاقدة عليه.

لا جناح على المرء إذ ذكر بالسوء من يفوق خبثه كل سوء يمكن أن يتصوره المرء".

ولهذا سميت هذه الفترة المتقدمة من حياة الاستشراق بعصر الجهالة؛ ذلك لأنه العصر الذى بعد فيه العلم عن الموضوعية، والبحوث عن عرض الواقعية يقول "ساذرن".

"على أن الشئ الوحيد الذى يجب أن لا نتوقع وجوده فى تلك العصور هو الروح المتحررة الأكاديمية، أو البحث الإنسانى الذى تميزت به الأقلام التى تناولت الإسلام فى المائة سنة الأخيرة".

وفى تقديرنا أنه لا توجد فى المائة سنة الخيرة، ولا فى غيرها أقلام تحررت من الحقد والدس حين كتبت عن الإسلام، غايته ما هناك أن هناك أقلام أشد غلواً، وأقلام مغالية.

ويقول: "مكسيم رودنس" عن هذه الفترة المتقدمة.

"ولا يصادف المرء موقفاً موضوعياً إلا فى مجال مختلف تماماً لا يمت إلى الدين الإسلامى إلا بصلة بعيدة، وأعنى العلم بأوسع معانيه".

ونحن نوافقه على الشق الأول الذى يرى فيه أن الدراسات التى تناولت الإسلام لا تمت بأية صلة إلى الموضوعية، لكن الذى لا نوافقه فيه هو زعمه أن الإسلام لا يمت إلى العلم بأية صلة؛

فالإسلام هو الذى أسس لبناء حياة علمية شامخة بل إنه فى الحقيقة وراء كل إنجاز علمى.

وخلاصة القول أن هذه الفترة المتقدمة من حياة الاستشراق حملت حقد الغرب الأسود الداكن على الإسلام وأمته فراحوا يثيرون الافتراءات على رسول الله ﷺ وعلى دعوته وعلى الوحى بغية إيقاف الدين الإسلامى فى أوربا وغيرها من قارات العالم.

***الوجه الثانى للاستشراق :**

وبعد أن يبين لنا ما عرضناه فى الوجه الأول من هجوم سافر على الإسلام، وعلى نبيه محمد ﷺ ، وإثارة الشبهات حوله فى تحد سافر، ووقاحة تناهت فى عتوها وفجورها فإن هذا الوجه يحمل لنا صورة تقل فى غلوها وفجورها عن سالفتها لكنها - لا تصل - على الإطلاق إلى درجة البحث الحر المجرد من الأهواء والنزاعات الهادفة إلى الحق والعدل. فهو هجوم على الإسلام أقل ضراوة من سابقة لكنه يلبس ثوب الحيدة والنزاهة، وهما منه براء.

*-وقد بدا هذا الوجه من وجوه الاستشراق واضحاً بقيام بعض علماء النصارى فى أوربا بترجمة الكتب العربية فى الفلسفة والعلوم، وكانت بدايته فى عام١١٣٠م حين قام رئيس أساقفة طليطلة ومعه آخرون ممن على شاكلته بإخراج ترجمات مبكرة لبعض الكتب العلمية العربية بعد أن وجدت لديهم القناعة الكاملة بأن العرب يملكون مفاتيح الكثير من تراث العالم الفكرى، وهذه الحركة الفكرية تماثل بل تقابل حركة الترجمة النشطة التى قام بها الخليفة المأمون، من سبقه من خلفاء فنقلوا بها الكثير من الفلسفات إلى العالم الإسلامى وللغة العربية الأم.

والعجيب أن هذه الترجمة وتيسير الفكر العربى للفرنجة لم يجد له مدكر، فلم تتغير النظرة الغربية للإسلام.

*-وفى نفس القرن قام بطرس الموقر (ت ١١٥٦) رئيس رهبان كلون بتشكيل جماعة من المترجمين فى أسبانيا يعملون كفريق واحد من أجل الحصول على معارف علمية متكاملة عن الإسلام فكان من انتاجهم، أول ترجمته لمعانى القرآن الكريم إلى اللغة اللاتينية فى عام (١١٤٣م) حيث قام بها العالم الإنجليزى (روبرت أوف كيتون).

*-حاول هذا البطرس - الذى كان يعتبر الإسلام هرطقة نصرانية - أن يجد مبرراً للجهود التى يقوم بها - فى مجال الترجمة من أجل التعرف على الإسلام ليحظى العمل بالقبول لدى إخوانه النصارى فقال:

"إذا كان العمل يبدو من النوافل الزائدة، لأن العدو ليس عرضة للهجوم بمثل هذا السلاح، فإنى أرد بأنه فى بلاد ملك عظيم تكون بعض الأشياء للدفاع، وبعضها للزينة، وبعضها لكليهما معاً.

إن سليمان المسالم صنع الأسلحة للدفاع، ولو أنها لم تكن ضرورية فى زمانه، وداود صنع الزينات للهيكل، ولو أنه لم تكن هناك وسائل لاستعمالها فى عصر(*)، وكذلك الحال مع هذا العمل فإذا لم يكن بالإمكان تنصير المسلمين به، فمن حق العالم على الأقل أن يساند إخوانه الضعفاء فى الكنيسة الذين يسهل افتضاحهم بأشياء صغيرة"[1].

---

* - هذا خطأ منهجى فى نص هذا الأفاك: حيث إن الذى صنع الأسلحة للدفاع هو داود والذى وضع الزينات على الهيكل هو سلميان (عليهما السلام).

١ - الاستشراق ، والخلفية الفكرية للصراع الحضارى د/ محمود حمدى زقزوق ص ٣٢ .

-ويقول "رودى بارت":

"حقيقة أن العلماء ورجال اللاهوت فى العصر الوسيط كـانوا يتصلون بالمصادر الأولى فى تعرفهم على الإسلام، وكانوا يتصلـون بها على نطاق واسع، ولكن كل محاولة لتقييم هذه المصـادر علـى نحو موضوعى نوعاً ما كانت تصطدم بحكم سابق يتمثل فى أن هـذا الدين المعادى للنصرانية لا يمكن أن يكون فيه خير.

وهكذا كان الناس لا يولون تصديقهم إلا لتلـك المعلومـات التى تتفق مع هذا الرأى المتخذ من قبل، وكانوا يتلقفون بنـهم كـل الأخبار التى تلوح لهم مسيئة إلى النبى العربى وإلى دين الإسلام"[١].

ومن هنا يتضح لنا أن الاستشراق بدا فـى أفقنـا الصـافى بوجهين مختلفين الأول - نبين قسماته عن تجهم حاد للإسلام وهجوم صارخ عليه، وما تخفيه الصدور أكبر، ينظر إلى الإسلام فتحد مـن نظرته ظلمات متراكمة من الخرافات والأساطير الشعبية.

والثانى - تزيى برى المنصف الرامى إلى الحق إذا أعلن فى قليل من الأحيان أن للإسلام نظرته فى العلـوم والطبيعـة والطـب والفلك، ولكن الاتجاه إلى أن الإسلام دين الخرافات والأساطير ظـل سائداً حتى القرن السابع عشر وما بعده.

ولا يزال هذا الاتجاه حتى يومنا هذا حيـاً يـرزق حتـى أن بعـض المؤتمرات الأوربية فى عام ١٩٩٦م عدت الإسلام من الأديان الوثنية.

فأين إذاً إنصاف المستشرقين!!

---

١ - الاستشراق ، والخلفية الفكرية للصراع الحضارى د/محمود حمدى زقزوق ص٣٣.

٦ – مؤتمرات صليبية ضد الإسلام

فى مسلسل الحرب الطويلة التى تقوم بها القــوى المعادية للإسلام على ضوء المتغيرات التى تحـل بديـار المسـلمين تلـك المؤتمرات التى يتم فيها التخطيط ورصد الأموال لحـرب الإسـلام والمسلمين ومن هذه المؤتمرات:

١ – مؤتمر عقد فى القاهرة عام ١٩٠٦م فى منزل مرابسى تحت شعار: (الدين دين الله الوطن للجميع) وبلغ عدد إرسـالياته ٦٢ عضواً مسيحياً وكان هدف المرتمريـن تحويـل الأنظـار عـن أن المقاومة المصرية للاستعمار ليست إسلامية وإنما هى وطنية تقودهـا الوحدة الوطنية: أى: المسلمون والنصارى[١].

ومن الآثار الفكرية لهذه المرحلة الإنتاج الأدبـى المعـادى للإسلام فيما كتبه سلامة موسى فى كتاب (اليوم والغد) وما كتبه طـه حسين فى "مستقبل الثقافة فى مصر) ولويس عـوض فـى معظـم كتاباته، إضافة إلى كتابات "جورجى زيدان ومدرسته الماسونية فـى (دار الهلال).

–مؤتمر أود نبرج الذى عقد فى سـنة ١٩١٠م وفـد ضـم ١٢٠٠ ألف ومائتان عضواً مسيحياً كلن من بينهم ٥٠٢ أو ٥٠٥ من الأمريكان . . والباقى من أوربا الغربية والشرقية... وبلغت أهميـة المؤتمر المسيحى أنه كان مـن المقـرر أن يـرأس وفـد أمريكـا روزفلت: الذى أناب عنه شخصية بارزة لعدم تمكنه من الحضور.

---

١ – أ . ل . شانلية "الغارة على العالم الإسلامى" ترجمة محب الديـن الخطيـب والبائى صفحة ١٩.

وفي هذا المؤتمر تمت دراسة مستقبل النشـــاط التبشـــيرى ضد الإسلام فى أروبا على وجه الخصوص وفى بـــلاد المســلمين بصفة عامة.

-مؤتمر لكنؤ بالهند الذى عقد فى سبتمبر عام ١٩١١م. وقـد اشترك فيه ١٦٨ عضـــواً تحـت إشــراف وتوجيــه الإرســاليات الإنجليزية... وقد مثل النشاط التبشيرى فى هذا المؤتمر ٥٤ جمعيـــة تبشيرية بلغ عدد أعضائها الممثلين فى هذا المؤتمر ١١٣ عضــواً... بهدف العمل على عدم تمكن العناصر الإسلامية من العمل السياســى ولدراسة مستقبل التجمعات الإسلامية التى كانت نـــواة قيــام دولـــة باكستان الإسلامية.

-مؤتمر المجمع المسكونى الذى عقـــد فـــى نوفمـــبر عـــام ١٩٦٤م. فى روما وحضره ٢٤٢٧ شخصية دينية مسيحية من كبـــار المشتغلين باللاهوت والسياسة برئاسة البابا بولس السادس: وفى هــذا المؤتمر تم التنسيق بين القوى المســـيحية واليهوديـــة فـــى حـــرب الإسلام... وحتى تنشط الأقليات المسيحية فى الديـــار الإســـلامية... عرض الكاردينال (بيا) مشروع قرار ينص على تبرئة اليهود من دم المسيح[١] كما تم فى هذا الاجتماع رصد مبلغ ٥٠٠ خمسمائة مليـــون دولار تحت تصرف بابا روما للعمل ضد الإسلام فى أفريقيا وآســـيا على وجه الخصوص وبالفعل فإن البابوية فى روما تصـــرف علـــى عدة اتجاهات فكرية فى العالم تستهدف بها بلاد الإسلام... ومن هــذه المجالات التى تبشر بفكر معاد للإسلام: مجلة الثرى الإسلامى التـــى

---

١ - اليهودية العالمية وحربها المستمرة على المسيحية : إيليا أبـــو الـــروس. دار الاتحاد بيروت عام ١٩٦٤. ص٨٠.

تصدر فى ألمانيا .. ومجلة العالم الإسلامى التى تصدر فى بريطانيا ومجلة إرساليات التبشير التى تصدر فى سويسرا.

-مؤتمر التربية الإلحادية الذى عقد فى ٥ فبراير عام ١٩٦٤م فى موسكو وجدول أعمال المؤتمر يدل على مدى القلق الذى ينتاب القيادات الشيوعية من الحد الإسلامى الذى ظهر فى أوائل النصف الثانى من القرن العشرين. فقد كان من أهم جدول أعمال المؤتمر: بحث مستقبل الشيوعية أمام الأيديولوجية فى الإسلام... كذلك تم بحث موضوع التجديد فى وسائل الدعوة الإسلامية وتجديد العناصر الماركسية فى بلاد الإسلام من بين الشخصيات البارزة وخاصة تلك التى تعرف فى الساحة الإسلامية.

كما بحث المؤتمر فكرة إنشاء معاهد عليا لدراسة بعض الأفكار الإسلامية برؤية ماركسية حتى يمكن بها خداع الدارسين فى هذه المعاهد ليعودوا إلى بلادهم بهدف الدعوة العلاقة المزعومة بين الشيوعية والإسلام(١).

واتجه المستشرقون والمبشرون بمعاونة الاستعمار فى مجال التربية، محاولين غرس مبادئ التربية الغربية في نفوس المسلمين حتى يشبوا (مستغربين) فى حياتهم وتفكيرهم، وحتى تخف فى نفوسهم موازين القيمن الإسلامية.

وليس نشاط المستشرقين موجهاً فقط إلى المسلمين، أنهم يفتحون عيونهم لكل حركة قد تعوق سيرهم أو تفسد خططهم، فإن حاول أحدهم أن يبدوا محايداً أو يتخفف من أثقال التعصب تجد بقية

١- الماسونية والصهيونية والشيوعية: مادة وهدفاً - للباحث دار الفكر القاهرة ص ٢١٠.

المستشرقين يهبون فى وجهه يطالبونه بأن يكون "موضوعيـــاً" وأن يستخدم الطريقة العلمية ويلجأ إلى النقد ذى المستوى العالى هكـــذا. ومثال ذلك ما كتبه الفريد هيوم تعليقاً على كتاب "محمد فى مكة" مـن تأليف مونتجمرى وات هاجم هيوم وات، لأن وات خرج عن الخــط التقليدى للمستشرقين فى بعض الاتجاهات.

ولا يعرف العقل ولا المنطق حداً لما يقوم به المستشـــرقون من تحريف التاريخ الإسلامى، وتشويه لمبـــادئ "الإســـلام وثقافتـــه" وإعطاء المعلومات الخاطئة عنه وعن أهله، وكذلك يجاهدون بكـــل الوسائل لينتقصوا من الدور الذى لعبه الإسلام فـــى تـــاريخ الثقافـــة الإنسانية. أن المستشرقين جميعاً فيهم قدر مشترك فى هذا الجـــانب والتفاوت - أن وجد بينهم - إنما هو فى الدرجة فقط، فبعضهم أكـــثر تعصباً ضد الإسلام وعداوة له من البعض الآخـــر، ولكـــن يصـــدق عليهم جميعاً أنهم أعداؤه[١].

وإذا كان الاستشراق قد قام على أكتاف الرهبان والمبشرين فـــى أول الأمر ثم اتصل من بعد ذلك بالمستعمرين - فإنه ما زال حتى اليـــوم يعتمـــد على هؤلاء وأولئك ولو أن أكثرهم يكرهون أن تنكشف حقيقتهم ويؤثـــرون أن يختفوا وراء مختلف العناوين والأسماء[٢].

---

١ - انظر المجلات والكتب التى ورد ذكرها فى هـــذه النقطـــة، وخاصـــة العـــالم الإســـلامى (الإنجليزية)، "والإسلام" التى تصدر بالإنجليزية فى كراتشى - باكستان فى أعـــداد فـــبراير ومارس وأبريل ومايو لسنة ١٩٥٨م. وموجز دائرة المعارف الإسلامية.

٢ - (المبشرون والمستشرقون) دكتور محمد البهى - مطبوعات مجمع البحـــوث الإسلامية بالأزهر ص٢٢.

٧ - نماذج من بعض المستشرقين

أ . ج . اربون:

انجليزى معروف بالتعصب ضد الإسلام والمسلمين ومن محررى "دائرة المعارف الإسلامية" عمل أستاذاً بجامعة كمبردج. ومن المؤسف أنه أستاذ لكثير من المصريين الذين تخرجوا في الدراسات الإسلامية واللغوية فى انجلترا. ومن كتبه:

١ - الإسلام اليوم ، صدر عام ١٩٤٧م.

٢ - "مقدمة لتاريخ التصوف" صدر فى عام ١٩٤٧م.

٣ - التصوف ، صدر فى عام ١٩٥٠م.

٤ - ترجمة القرآن ، صدر فى عام ١٩٥٠م.

الفرد جيوم :

انجليزى معاصر اشتهر بالتعصب ضد الإسلام. حاضر فى جامعات انجلترا وأمريكا. وتغلب على كتابته وآرائه الروح التبشيرية. ومن كتبه "الاسلام" ومن المؤسف أنه تخرج عليه كثير ممن أرسلتهم الحكومة المصرية فى بعثات رسمية للخارج لدراسة اللغات الشرقية.

بارون كارادى فو :

فرنسى متعصب جداً ضد الاسلام والمسلمين. ساهم بنصيب بارز فى تحرير دائرة المعارف الإسلامية.

هـ . أ . ر . جب:

أكبر مستشرقى إنجلترا المعاصرين. كان عضواً بالمجمع اللغوى فى مصر وكان أستاذاً للدراسات الإسلامية والعربية فى جامعة هارفرد الأمريكية. من كبار محررى وناشرى "دائرة المعارف الإسلامية". وله كتابات كثيرة فيها عمق وخطورة وهذا هو سر خطورته. ومن كتبه:

١ - "طريق الإسلام" ألفه بالاشتراك مع آخرين وترجم من الإنجليزية إلى العربية تحت العنوان المذكور.

٢ - "الاتجاهات الحديثة فى الإسلام" صدر فى علم ١٩٤٧م وأعيد طبعه وترجم إلى العربية تحت العنوان المذكور.

٣ - "المذهب المحمدى" صدر فى عام ١٩٤٧م وأعيد طبعه بعد ذلك أكثر من مرة.

٤ - "الإسلام والمجتمع الغربى" صدر فى أجزاء وقد اشترك معه آخرون فى التأليف وله مقالات أخرى متفرقة.

جولد تسيهر :

مجرى عرف بعدائه للإسلام وبخطورة كتاباته عنه ومن محررى "دائرة المعارف الإسلامية" كتب عن القرآن والحديث ومن كتبه "تاريخ مذاهب التفسير الإسلامى" المترجم إلى العربية تحت العنوان السابق[1] وقد رد الشيخ محمد الغزالى على هذا المستشرق فى كتابه "دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المبشرين والمستشرقين".

---

١ - المستشرقون والإسلام - مهندس زكريا هاشم: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية صفحة ١٨١.

جــون ماينـــارد:

أمريكى متصب كان يساهم فـــى تحريـــر "مجلـــة جمعيـــة الدراسات الشرقية" الأمريكية وخاصة باب الكتب الجديدة التـــى لـــها صلة بالإسلام وبالشرق على العموم.

س . م . زويمـــر:

مستشرق مبشر اشتهر بعدائه الشديد للإسلام، مؤسس مجلـــة "العالم الإسلامى" الأمريكية التبشيرية، مؤلف كتاب "الإســـلام تحـــد للعقيدة" صدر فى سنة ١٩٠٨م، وناشـــر كتـــاب "الإســـلام" وهـــو مجموعة مقالات قدمت للمؤتمر التبشيرى الثانى فـــى ســـنة ١٩١١م بلكنو فى الهند. وتقديراً لجهوده التبشيرية أنشـــأ الأمريكيـــون وقفـــاً باسمه على دراسة اللاهوت وأعداد المبشرين.

عزيز عطية سوريال:

مصرى مسيحى، كان أســـتاذاً بجامعـــة الإســـكندرية والآن يدرس بإحدى جامعات أمريكا، شديد الحقد على الإسلام والمســـلمين وكثير التحريف للتعاليم الإسلامية، يستعين على الحقـــد والتحريـــف بكونه بعيداً عن مصر والمسلمين، له بعض الكتب عـــن الحـــروب الصليبية.

غ . فون جرونباوم.

من أصل ألمانى يهودى مســـتورد إلـــى أمريكـــا للتدريـــس بجامعاتها وكان أستاذاً بجامعة شيكاغو، من ألد أعداء الإسلام. فـــى جميع كتاباته تخبط واعتداء على القيم الإسلامية، كثير الكتابـــة ولـــه معجبون من المستشرقين. ومن كتبه:

١ - "إسلام العصور الوسطى" صدر فى عام ١٩٤٦م.

٢ - "الأعياد المحمدية" صدر فى عام ١٩٥١م.

٣ - "محاولات فى شرح الإسلام المعاصر" صدر فى عام ١٩٤٧م.

٤ - "دراسات فى تاريخ الثقافة الإسلامية" صدر فى عام ١٩٥٤م.

٥ - "الإسلام" مجموعة من المقالات المتفرقة، صدر فى عام ١٩٥٧م.

٦ - "الوحدة والتنوع فى الحضارة الإسلامية" صدر فى عام ١٩٥٥م.

فليب حتى:

لبنانى مسيحى تأمرك، كان أستاذاً بقسم الدراسات الشرقية بجامعة برنستون بأمريكا ثم رئيساً لهذا القسم، وهو الآن بالمعاش رهن الإشارة للعمل، من ألد أعداء الإسلام، ويتظاهر بالدفاع عن القضايا العربية فى أمريكا، وهو مستشار غير رسمى لوزارة الخارجية الأمريكية فى شئون الشرق الأوسط، يحاول دائماً أن ينتقص دور الإسلام فى بناء الثقافة الإنسانية ويكره أن ينسب للمسلمين أى فضل فقد كتب - على سبيل المثال فى "دائرة المعارف الأمريكية" طبع سنة ١٩٤٨م تحت عنوان "الأدب العربى" ص١٢٩ يقول: ولم تبدأ أمارات الحياة الأدبية الجديدة بالظهور إلا فى القسم الأخير من القرن التاسع عشر، وكان الكثرة من قادة هذه الحركة الجديدة نصارى من لبنان تعلموا واستوحوا من جهود المبشرين الأمريكيين ومحاولا (حتى) انتقاص فضل الإسلام والمسلمين ليست فقط قاصرة على العصر الحديث ولكنها تنطبق على جميع مراحل التاريخ الإسلامى كما هو موضح فى كتبه التى نذكر منها[1]:

---

١ - نقلاً عن الدكتور محمد البهى فى "المبشرون والمستشرقون".

١ - "تاريخ العرب" ظهر بالانجليزية وأعيد طبعـــه عـدة مرات وهو ملئ بالطعن فى الإسلام والسخرية من نبيه وكلـــه حقـد وسم وكراهية. انظر مثلاً مجلة "الإسلام" الانجليزية التى تصدر فـــى كراتشى - باكستان ص ١٣٨ من عدد أبريـــل سـنة ١٩٥٨م، ص ١٤٦ من عدد أول مايو سنة ١٩٥٨م.

٢ - "تاريخ سوريا".

٣ - "أصل الدروز وديانتهم" صدر سنة ١٩٢٨م.

أ . ج . فينسينك:

عدو لدود للإسلام ونبيه، كان عضـــواً بـالمجمع اللغـوى المصرى ثم أخرج منه على أثر أزمة أثارها الدكتور الطبيب حسـين الهوارى مؤلف كتاب "المستشرقون والإسلام" صدر فى سنة ١٩٣٦م وحدث ذلك بعد أن نشر فينسينك رأيه فى القرآن والرسول مدعيـاً أن الرسول ألف القرآن من خلاصة الكتب الدينية والفلسفية التى سـبقته انظر "المستشرقون والإسلام" ص٧١٠ وما بعدها. هذا والمعـــروف لفينسينك كتاب تحت عنوان "عقيدة الإسلام" صدر فى سنة ١٩٣٢م.

كينيث كراج :

أمريكى شديد التعصب ضد الإسلام. قـــام بـالتدريس فـــى الجامعة الأمريكية بالقاهرة لفترة من الوقت والآن رئيـــس تحريـــر مجلة "العالم الإسلامى" الأمريكية التبشيرية ورئيس قســم اللاهـوت المسيحى فى هارتفورد ومتعهد "مبشرين" ومن كتبه "دعوة المئذنـــة" صدر فى عام ١٩٥٦م.

لــون ماسينيون :

أكبر مستشرقي فرنسا في هذا العصـــر وكـــان مستشـــاراً لـــوزارة المستعمرات الفرنسية في شئون شمال أفريقيا، والراعي الروحـــي للجمعيـــات التبشيرية الفرنسية في مصر زار العالم الإســـلامي أكـــثر مـــن مـــرة وخـــدم بالجيش الفرنسي خمس سنوات في الحرب العالميـــة الأولـــى، كـــان عضـــواً بالمجمع اللغوي المصري والمجمع العلمي العربي في دمشق، متخصـــص فـــي الفلسفة والتصوف، ومن كتبه:

"الحلاج الصوفي الشهيد في الإســـلام"، صـــدر فـــي ســـنة ١٩٢٢م وله كتب وأبحاث أخرى عن الفلسفة والتصوف، وهو مـــن كبار محرري "دائرة المعارف الإسلامية".

د . ب . ماكدونالد:

أمريكي من أشد المتعصبين ضد الإسلام والمسلمين، يصـــدر في كتاباته عن روح تبشيرية متأصلة، من كبـــار محـــرري "دائـــرة المعارف الإسلامية" ومن كتبه:

١ - "تطور علم الكلام والفقه والنظريـــة الدســـتورية فـــي الإسلام" صدر في سنة ١٩٠٢م.

٢ - "الموقف الديني والحياة في الإسلام" صدر في سنة ١٩٠٨م.

مايلـــز جريـــن :

سكرتير تحرير مجلة "الشرق الأوسط".

مجيد قدوري :

مسيحي عراقي. رئيس قسم دراسات الشرق الأوسط بجامعـــة هوبكنز في واشنطن، ومدير معهد الشرق الأوسط للأبحاث والتربيـــة

بواشنطن، متعصب حقود على الإسلام وأبنائه، ومن كتبه المشحونة بالطعون والأخطاء: "الحرب والسلام فى الإسلام" صدر فى سنة ١٩٥٥م، وله مقالات أخرى.

د . س . مرجليوث :

انجليزى متعصب ضد افسلام ومن محررى "دائرة المعارف الإسلامية"، كان عضواً بالمجمع اللغوى المصرى والمجمع والعلمى فى دمشق. ومن كتبه:

١ - "التطورات المبكرة فى الإسلام" صدر فى سنة ١٩١٣م.

٢ - "محمد ومطلع الإسلام" صدر فى سنة ١٩٠٥م.

٣ - "الجامعة الإسلامية" صدر فى سنة ١٩١٢م.

ر . أ . نيكلولسون:

كان من أكبر مستشرقى انجلترا المعاصرين ومن محررى "دائرة المعارف". تخصص فى التصوف الإسلامى والفلسفة وكان عضواً بالمجمع اللغوى المصرى. وهو من المنكرين على الإسلام أنه دين روحى ويصفه بالمادية وعدم السمو الإنسانى. ومن كتبه:

١ - "متصوفوا الإسلام" صدر فى سنة ١٩١٠م.

٢ - "التاريخ الأدبى للعرب" صدر فى سنة ١٩٣٠م.

هارفلى هولى :

رئيس تحرير "مجلة الشرق الأوسط" الأمريكية. وخطورته أنه يوجه سياسة مجلة من أهم المجلات المعنية بشئون الشرق الأوسط السياسية والاقتصادية والثقافية فى العصر الحديث.

هنـــرى لامنس اليسوعى:

فرنسى ١٨٧٢ - ١٩٣٧م من محــــررى "دائــرة المعــرف الإسلامية" شديد التعصب ضد الإسلام والحقد عليه، مفرط فى عدائـه وافتراءاته لدرجة أقلقت بعض المستشرقين أنفسهم (انظر ص١٥٥ - ١٦ من ١ ، من المجلد ٩ يناير سنة ١٩٢٥ مـــن مجلــة "جمعيــة الدراسات الشرقية الأمريكية" ومن مكتبه بالفرنسية:

١ - "الإسلام". ٢ - "الطائف".

يوسف شاخت :

ألمانى متعصب ضد الإسلام والمسلمين له كتب كثيرة عـــن الفقه الإسلامى وأصوله من محررى "دائرة المعارف الإســلامية"، و "دائرة معارف العلوم الاجتماعية". وأشـــهر كتبــه: "أصـــول الفقــه الإسلامى".

٨ – بعض الكتب الخطيرة المشوهة للإسلام

***الموضوعـــات:**

١ - "دائرة المعارف الإسلامية".

صدرت بعدة لغات حية ويعاد طبعها فى الوقت الحاضر وقد ظهر بعض أجزاء الطبعة الجديدة بالفعل.

٢ - "موجز دائرة المعارف الإسلامية".

٣ - "دائرة معارف الدين والأخلاق".

(المقالات المتعلقة بموضوعات إسلامية).

٤ - "دائرة معارف العلوم الاجتماعية".

(الموضوعات المتصلة بالإسلام والعرب).

٥ - "دراسة فى التاريخ".

(القسم المتصل بالإسلام ورسوله). من تأليف أرنولد توينى.

***الكتـــــــب:**

١ - "حياة محمد" من تأليف سير وليام موير.

٢ - "الإسلام" من تأليف الفرد جيوم.

٣ - "دين الشيعة" من تأليف د . م . دونالد سون.

٤ - "تاريخ شارل الكبير" من تأليف الأسقف تيرين.

٥ - "الإسلام" ظهر بالفرنسية من تأليف هنرى لامنس.

٦ - "الإسلام" تحد العقيدة) ظهر بالإنجليزية مـــن تـــأليف المبشر زويمر.

٧ - "دعوة المئذنة" ظهر بالإنجليزية من تأليف كينيت كراج.

٨ - "الإسلام اليوم" بالإنجليزية من تأليف أ . ج . أربرى.

٩ - "ترجمة القرآن" الترجمة الإنجليزية من وضع أ . ج . أربرى.

١٠ - "تاريخ مذاهب التفسير الإســـلامى" ظـــهر بالألمانيـــة وترجم إلى العربية، من تأليف جولد زيهر.

١١ - "تاريخ العرب" ظهر بالإنجليزية والعربية وطبع عـــدة طبعات، من تأليف فيليب حتى.

١٢ - "اليهود فى الإسلام" ظهر بالإنجليزيـــة مـــن تـــأليف إبراهام كاش.

١٣ - "عقيدة الإسلام" ظهر بالإنجليزية من تأليف أ . ج . فينسينك.

١٤ - "الحلاج الصوفى الشهيد فى الإسلام" ظهر بالفرنســـية من تأليف لوى ماسينون.

١٥ - "الحرب والسلام فى الإسلام" ظهر بالإنجليزيـــة مـــن تأليف مجيد قدورى.

١٦ - "تطوير علم الكلام والفقه والنظرية الدســـتورية فـــى الإسلام" ظهر بالإنجليزية من تأليف د . ب . ماكدونالد.

١٧ - "الاتجاهات الحديثة فى الإسلام" ظـــهر بالإنجليزيـــة وترجم إلى العربية، من تأليف هـ . أ . ر . جب.

١٨ - "طريق الإسلام" ظهر بالإنجليزية وترجم إلى العربية من تأليف جماعة من المستشرقين اشترك فى تأليفه ونشره هـ . أ . ر . جب.

١٩ - "التصوف فى الإسلام" ظهر بالإنجليزية وترجم إلى العربية من تأليف ر . أ . نيكلسون.

٢٠ - "مصادر تاريخ القرآن" بالإنجليزية من تأليف آرثر جيفرى.

٢١ - "أصول الإسلام فى بيئته المسيحية" بالإنجليزية من تأليف ر . بل.

٢٢ - "مقدمة القرآن" بالإنجليزية من تأليف ر . بل.

٢٣ - "التطورات المبكرة فى الإسلام" بالإنجليزية من تأليف د . س . مرجليوث.

٢٤ - "محمد ومطلع الإسلام" بالإنجليزية ولنفس المؤلف.

٢٥ - "الإسلام" بالإنجليزية ولنفس المؤلف.

٢٦ - "الجامعة الإسلامية" بالإنجليزية ولنفس المؤلف.

٢٧ - "قنطرة إلى الإسلام" ظهر بالإنجليزية من تأليف أريك بيتمان.

٢٨ - "إسلام العصور الوسطى" ظهر بالإنجليزية من تأليف ج . فون جرونباوم.

٢٩ - "الإسلام" مجموعة مقالات متفرقة ظهرت بالإنجليزية للمؤلف السابق.

٣٠ - "الأعياد المحمدية" بالإنجليزية ولنفس المؤلف.

٣١ - "الوحدة والتنوع فى الحضارة الإسلامية" بالإنجليزية ولنفس المؤلف.

٣٢ - دراسات فى تاريخ الثقافة الإســـلامية" بالإنجليزيـــة ولنفس المؤلف.

٣٣ - "محاولات . . . فى شرح الإسلام المعاصر" مجموعة مقالات ظهرت بالإنجليزية لنفس المؤلف.

الدوريـــات :

١ - "مجلة العالم الإسلامى".

مجلة تبشيرية تصدر بالإنجليزية فى هارت فـــورد بأمريكـــا وتوزع فى جميع أنحاء العالم.

٢ - "مجلة العالم الإسلامى".

مجلة تبشيرية تصدر بالفرنسية فى فرنسا وتوزع فى جميـــع أنحاء العالم.

٣ - "مجلة جمعية الدراسات الشرقية".

أنشأها المستشرقون الأمريكيون فى جاسير بولايـــة أوهـــايو وكان لها بعض فروع فى أوربا وكندا.

٤ - "مجلة شئون الشرق الأوسط".

تصدر بالإنجليزية فى أمريكا ويحررها عدد من المستشرقين المعادين للعرب والمسلمين واهتمامها موجه فى الدرجة الأولى إلـــى الجوانب السياسية.

٥ - "مجلة الشرق الأوسط".

مجلة أمريكية سياسية تتعرض للإسلام من وقت لآخر فـــى بعض المقالات .. .

المبحث الرابع

من معالم التبشير فى البلاد الإسلامية

أولاً : تعريف بالتبشير .

ثانياً : نشأة التبشير فى البلاد الإسلامية.

ثالثاً : الأطوار التى مر بها التبشير.

رابعاً : أساليب المبشرين فى نشر أباطيلهم.

خامساً : أثر التبشير فى البلاد الإسلامية.

الصفات التى أرتأتها الكنيسة فى المبشر
والصفات التى ينبغى أن يتمتع بها المبشر

لقد أقام هؤلاء المنصرون دعاويهم الكاذبة على أسس علمية دقيقة توصلوا إليها بعد دراسات عميقة، ويمكننا أن نستخلص هذه الدعائم ونوجز الحديث عنها فى النقاط الآتية:

١ - على المبشر أو المبعوث المسيحى أن يعرف:

أ) لغة الشعب الذى سيتوجه للتبشير بين أفراده.

ب) أن يدرس عادات أفراد هذا الشعب، وتقاليدهم، ومعتقداتهم، ومواطن الضعف فيهم، وما ينفرهم، وما يجذبهم.

جـ) أن يصور أن الشرق مثلاً - وجهة نظر المستشرقين - بصورة من التأخر تحمل المبشر على أن يندفع فى مهمته اندفاعاً أعمى.

٢ - أن يكون المبشر على دراية بكيفية الدعوة للمسيحية، وبكيفية الهجوم على ديانة الشعب الذى سيذهب إليه، وأن يكون بارعاً فى نشر الأكاذيب على كل الأديان عدا المسيحية، ولا حرج عليه فى التلون للوصول إلى قلوب بعض الناس؛ ومن هذا المنطلق فإنه لا حرج عليه فى التلون للوصول إلى قلوب بعض الناس، ولا ضير عليه البتة فى مصادقة الشيوعيين لتحقيق أغراضه التبشيرية، هذا بالرغم من العداوة الواضحة بين النصرانية والشيوعية.

٣ - لا ينبغى أن يكون المبشر خلو من مهنة مهمة يحتاجها عامة الناس فعليه - إن لم يكن طبيباً - أن يكون ملماً ببعض مبادئ التطبيب والتمريض والإسعافات العاجلة؛ لذلك فإن الراهبات اللائى

يقمن بخدمة المرضى لسن سوى مبشرات يعملن بجانب عملهن فـي التمريض بمهمة التبشير.

وكما يقول اليسوعيون إنهن يعملن لضم الخراف الضالـة أو المهملة إلى حظيرة المسيح الملك، وهكذا اتخـذ المبشـرون الطـب ستاراً يقتربون تحته من المرضى.

كمـا أن لابـد أن يسـبق الإرسـاليات التبشـيرية إنشـاء المستشفيات والملاجئ فى البلاد التى يتوجهون إليها.

٤ - العمل الدائب على نشر الأضاليل عن الإسلام بالذات وتكرارهـا ومحاولة الإكثار منها فى صور مختلفة، حتى وصل الأمر بهم إلـى عكس حقائق الإسلام، وإشاعة ذلك فى أوساطهم البشرية: إما عـن جهل أو عن سوء فهم، أو عن سوء نية وقصد.

٥ - استغلال معاهد العلم، وكراسى التدريس فى المدارس والكليـات والجامعات فى غرض التبشير، وبذلك عملوا على انحراف العلم عن طريق الاستقامة والصدق، وتزودوا بالأكاذيب حتى يميلـوا بالنشـئ إلى الانسلاخ عن عقيدة الوحدانية الفطريـة إلـى عقيـدة الثـالوث والأقنوم، والفداء مما لا يستسيغه العقل من هذه الأفكار السقيمة التـى ما أنزل الله بها من سلطان.

يذكر أنه فى عام ١٢٩٤ ميلادية اقـترح أحـد النصـارى ويدعى "رامون" على البابا "سلستين" الخامس خطتين للتبشـير بيـن المسلمين.

أولاهما : أن ينصر المسلمون بالقوة إذا لم تنفع فيهم الجهود السلمية.

ثانيهما : أن تتخذ الكنيسة العلم والمدرسة وسيلة للتبشير.

ويبدو أن هذه الخطة الثانية قد لاقت رواجاً من جانب الفاتيكان فقامت بتنفيذها بكل دقة، واتخذت من الوسائل ما رأته كفيلاً بذلك فحدث ما يلى:

١ - لقد شجع "غريغويوس" السادس عشر بابا روما عام ١٨٣١م اليسوعيين على المجئ إلى سوريا للعمل بها.

٢ - أعطى البابا "ليون" الثالث عشر فى عام ١٨٨١م اليسوعيين فى سوريا حق منح الشهادات بأنواعها.

٣ - لما ارتقى "بيوس" الحادى عشر عرش الفاتيكان سنة ١٩٢٢م زاد من تشجيعه لأساليب التبشير عن طريق التعليم حتى سمى بابا التبشير.

لهذا نستطيع أن نقول:

إن المنصرين هؤلاء قد وجدوا فى التعليم ضالتهم المنشودة؛ إذ به ينفذون إلى هذه العقول البريئة الطيبة التى ينتقش فيها كل ما يقال، ثم يتعهدون هذه العقول الحالية فى مراحل التعليم المختلفة حتى الكليات الجامعية والمعاهد العليا والتى تتسرب فيها الآراء النصرانية إلى مثقفى أبناء المسلمين، وعن طريقهم تتسرب إلى المجتمع الإسلامى، فضلاً عن أن هؤلاء المثقفين ستلقى إليهم مهام الأمور والسلطان فى المستقبل فيكونون أقرب إلى قلوبهم وأفكارهم، وبذلك تتفكك الوحدة لإسلامية فى الأمم الشرقية ويسهل ابتلاعها أو السيطرة عليها سياسياً.

ولقد كان للمبشرين هدف آخر بجوار هدفهم الأول وهو التضليل والتنصير وردة المسلمين عن دينهم . . . هدف يرمى إلى إخضاع الدول التى يجوب المنصرون أرجاءها لدولهم، وبسط سلطان دولهم الثقافى والسياسى والاقتصادى على البلاد التى يذهبون إليها.

*-فقد كانت إيطاليا تبنى جميع سياستها الاستعمارية على جهود الرهبان والمبشرين.

*-كما كانت فرنسا تعتمد على اليسوعيين فى مستعمراتهم.

*-والولايات المتحدة الأمريكية غطت نصف الأرض بمبشرين يزعمون أنهم يدعون إلى السلام والسمو الروحى، مع غلبة الروح المادية عليهم بما أثر عنهم من ترف فاق التصور، كما أنهم لم يستطيعوا التحرر من نفوذ حكومتهم، أو الانحراف عن أهدافها.

*-أما انجلترا فقد نصحها العسكريون ببث مبشريها فى العالم. حتى الجنرال "هابغ" طلب من الحكومة البريطانية أن ترسل مبشريها إلى شبه الجزيرة العربية بالذات.

*-وقد حدث فى عهد ستالين، أن دعت أوريا بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية إلى عقد مجمع مسكونى فى موسكو، وحملت إليه المشتركين بطائرات روسية، ولم يفت "ستالين" أن يتقابل معهم، ولا شك أن "ستالين" كانت له أغراض السياسة فى ذلك رغم أن روسيا دولة لا تعترف بقداسة الأديان.

*-لذلك كان من أهم أهداف هؤلاء المنصرون: هو تحويل مجارى التفكير فى الوحدة الإسلامية حتى تستطيع النصرانية أن تتغلغل فى المسلمين، وتعمل على تفريقهم، فإذا قضى على الإسلام أمكن استبعاد أهله، والبلاد التى هو فيها.

*-ولهؤلاء المنصرين عداوات سافرة للإسلام والمسلمين فحين حاول نفر من النصارى الدعوة إلى مصادقة المسلمين فى

الصين أنكرها المبشر (المضلل) "صمويل زويمر" بحجة أنها تخلق في نفس النصارى جبناً عن التبشير.

هذه غواية حاقد يدفعه إليها حقد دفين على الإسلام والمسلمين يبين عنها في غير مواربة شأنه في ذلك شأن كل بني ملته الذين قادهم "بطرس" الناسك إلى الحروب الصليبية والذين يقول قائلهم:

"إن المبشر يأتي تحت علم الصليب: يحلم بالماضي، وينظر إلى المستقبل، وهو يصغي إلى الريح التي تصفر من بعيد من شواطئ رومية ومن شواطئ فرنسا، وليس من أحد يستطيع أن يمنع تلك الريح من أن يعيد على أذاننا قولها بالأمس، وصرخة أسلافنا (أي الصليبين) من قبل "إن الله يريدنا". - وهي العبارة التي كان الصليبيون يرددونها في صرخة واحدة عندما جاءوا إلى الشرق - أي أن الله هو الذي أراد تلك الحرب الصليبية في زعمهم.

*-ويبدو بوضوح أن إباء الإسلام حياة الاستبعاد، ورفعه من شأن أهله بإشعارهم بالعزة، كل ذلك يقلق المبشرين والمستعمرين؛ لذلك فهم يمنون تنصير المسلمين كلهم، ويوجهون إليهم جهودهم حتى يسهل ابتلاعهم بعد أن تموت فيهم روح العزة والكرامة.

هذا وقبل أن نبين أهداف التبشير، وأساليبه وآثاره؛ فإنه لا مندوحة لنا من معرفة معالمه:

التبشير لغة:

للتبشير معان جليلة وعديدة بينتها لغتنا العربية تتنافر تماماً مع ما يقوم به هؤلاء المضللون من رجالات الكنائس الغربية، نذكر من هذه المعاني ما يلي:

أ) ظاهرة جلد الإنسان.

ب) مباشرة الأمور، أى أن تليها بنفسك.

جـ) الخلق تقول: بشر كثير أى خلق كثير.

د) إدخال السرور: تقول بشرت فلاناً أى أدخلت السرور عليه.

هـ) انبساط بشرة الوجه: تقول: لقيت فلاناً بوجه حسن أى منبسطة أسارير وجهى.

و) أوائل كل شئ: تقول: تباشير الصباح أى أوائل الصباح، وتباشير الشهر أى أوائل الشهر.

ز) الرياح المبشرات بالغيث.

ح) الجمال - فالبشارة بالفتح تطلق على الجمال تقول: رجل بشير، وامرأة بشيرة أى جميل وجميلة.

وهذه المعانى الثمانية قد أحصاها أبوبكر بن عبدالقادر الرازى فى مختاره حين كتب يقول[1]:

"البشرة والبشر ظاهر جلد الإنسان، والبشر للخلق، ومباشرة الأمور: أن تليها بنفسك هو بشر الأديم، أخذ بشرته وبابه نصر.

(وبشره) من البشرى وبابه نصر ودخل (وأبشره) وبشرة تبشيراً والاسم (البشارة) بكسر الباء وضمها.

ويقال (بشره) بكذا بالتخفيف (فأبشر إبشاراً) أى سر، ويقال: أبشر بخير بقطع الألف، ومنه قوله (تعالى): ﴿ ... وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ .. ﴾ .

---

١ - مختار الصحاح لأبى بكر عبدالقادر الرازى ص٥٣.

(وبشر بكذا) إستبشر به، وبابه طرب.

(وبشرنى) فلان بوجه حسن، أى يقينى فلان وهـــو حســن البشر أى طلق الوجه.

(وبشرن) إذا سميت به رجلاً لم تصرفه معرفة كان أو نكـرة للتأنيث، ولزوم حرف التأنيث بخلاف فاطمة وطلحة ونحوهما.

والبشارة المطلقة لا تكون إلا بالخير، وإنما تكون بالشـــر إذا كانت مقيدة به كقوله (تعالى) : ﴿ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ .

و (تباشر) القوم بشر بعضهم بعضاً.

و (التباشير) البشرى.

و (تباشير) الصبح أوائله، وكذا أوائل كل شئ ولا فعل له.

و (التبشير) المبشر.

و (المبشرات) الرياح التى تبشر بالغيث.

و (البشارة) بالفتح الجمال نقول منه رجل بشير، وامرأة بشيرة.

التبشير اصطلاحاً:

وبعد أن تبنينا مفهوم التبشير لغة فإنه لا مندوحة لنـــا مـــن معرفة مفهوم التبشير فى اصطلاح أرباب هذا الفن فقد قال أربـــاب هذا الفن عن تعريفه ما يلى:

*-تحويل الناس من ديانتهم التى يدينون بها سواء أكانوا من المسلمين أم من غير المسلمين إلى الديانة المسيحية كما يحدث فعـــلاً فى كل آسيا وأفريقيا وبعض البلاد الإسلامية.

*-وهذا - في تقديرنا - هو المفهوم الحقيقي للتبشير المسيحي؛ فالقساوسة الذين ترسلهم الكنائس ومراكز التنصير الأوربية للعمل بأفريقيا وآسيا لا عمل لهم سوى تحويل الناس عن أديانهم، ودخولهم في المسيحية، سواء أكانوا أصحاب دين إلهي، أم أهل دين وضعي، لكن الذي يهمهم - في المقام الأول هو تحويل المسلمين عن دينهم إلى النصرانية - خاصة الذين اعتنقوا الإسلام حديثاً.

فالتبشير بهذا المفهوم يشتمل على معنيين:

أ) تحويل غير المسيحيين إلى مسيحيين خاصة المسلمين من أرباب الديانات الأخرى.

ب) محاولة تشكيك المسلمين في دينهم ليتركوه، وليتحولوا إلى نصارى مستقبلاً، فإن لم يتحركو إلى نصارى فليتحولوا إلى ملحدين.

*-إن التبشير المسيحي: عبارة عن هجوم المسيحية على الديانات المستوطنة في البلاد التي يتوجه إليها المبشرون المسيحيون للعمل بها خصوصاً الإسلام.

يقول (غاردنر):

"إنه وإن كان قد خاب الصليبيون في انتزاع القدس من أيدي المسلمين، ليضموا دولة مسيحية في قلب العالم الإسلامي لكن الحروب الصليبية لم تكن لإنقاذ هذه المدينة بقدر ما كانت لتدمير الإسلام"[1].

فالتبشير بهذا المعنى هو محاولة القضاء على الإسلام سواء تحول المسلمون إلى نصارى أم تركوه إلى أي دين آخر فالهدف - إذن - هو القضاء على الإسلام.

١- التبشير والاستشراق أحقاد وحملات للمستشار: محمد عزت طهطاوي ص١.

*-إن التبشير المسيحى تعبـــير أطلقـــه رجـــال الكنيســـة النصرانية على الأعمال التى يقوم رجال التبشير لتنصـــير الشـــعوب غير النصرانية لا سيما المسلمون[1].

فالنصارى العاملون فى هذا الحقل معتقدون أنهم رسل ســـلام يعظون البشرية بإنجيلهم، فيبشرونهم بيوم خلاصهم من وزر ورثـــوه عن أبيهم آدم ﷺ

وأن ما يقومون به هو إبلاغ الناس بالخبر الطيب وعلى هـــذا فيجـــب عليهم تحويل غير النصارى إلى نصارى فإن لم يتيسر لهم فـــلا أقـــل مـــن أن يشككوهم فى دينهم ليسهل تحويلهم فيما بعد إلى نصارى.

لكن هؤلاء الذين يزعمون أنهم يحملون إلى النـــاس الخـــير الطيب، وأن عملهم هو وعظ الناس بإنجيلهم، وتوجيههم إلى الخـــير قد انحرفوا عن منهجهم هذا فقاموا بمحاربة الإسلام دين الله الحـــق، والطعن فى نبيه وفيما جاء به من عقائد وشرائع وأخلاق.

*-إن التبشير هو تشكيك المسلمين فى دينـــهم، وتاريخـــهم وحضاراتهم، وكل ما يمت إلى مجدهم وعزهم بصلة.

هذه هى مجمل التعريفات عن التبشـــير، وفـــى تقديرنـــا أن التبشير هو شامل لهذه التعريفات الأربعة كلها:

فهو: ما يقوم به المنصرون الذين توجههم أوربـــا وأمريكـــا لتحويـــل غير النصارى - خاصة المسلمين - عن دينهم إلى النصرانية بعـــد تشـــكيكهم فى دينهم، وهجومهم عليه، وهم فى عملهم يلبسون ثـــوب الوعـــاظ والداعيـــن إلى الخير، وإنقاذ البشرية من وهدتها السحيقة باعتناقها غير المسيحية.

---

١ - أجنحة المكر الثلاثة أ/ عبدالرحمن حبنكة الميدانى ص ٥٠.

**** متى بدأ التبشير ؟**

الذى لا يشك عاقل فيه أن الحروب الصليبية لم تكن لانتزاع القدس: مهد المسيح، ومرتع صباه من أيدى المسلمين، ولكنها كانت لتدمير الإسلام والمسلمين، وإقامة المسيحية على أنقاضه وأنقاضهم؛ فلما خاب سعيهم هذا تطلعوا إلى وسيلة أخرى يحققون به حلمهم الضائع فكان التبشير هو ضالتهم لنشر ضلالهم.

ولما كانت القوة الغاشمة التى جرها بطرس الناسك إلى شرقنا الآمن خطة خاسرة رسمها آباؤهم وفشلوا؛ فقد أقاموا وسيلتهم الثانية على تخطيط واع نذروا له حياتهم، وأحكموا تدبيرهم، ثم أطلقوا مردتهم بغتة زودوهم بالمال دون حساب.

يقول "غاردنر":

"إنه وإن كان قد خاب الصليبيون فى انتزاع القدس من أيدى المسلمين ليقيموا دولة مسيحية فى قلب العالم الإسلامى، لكن الحروب الصليبية لم تكن لإنقاذ هذه المدينة بقدر ما كانت لتدمير الإسلام"[1].

إن المتتبع لتاريخ أوربا يراها تحقد على الإسلام يوم عرفته وتأكد هذا الحقد يوم دخل المسلمون بلاد الأندلس، وأخضعوا شبه جزيرة ليبيريا لسلطان دعوتهم عام (٧١١م) وحين انطلقوا منها إلى عدد من بلدان أوربا، فتحولت - بعدالة دينهم وسماحته - من المسيحية إلى الإسلام، فأضحت للإسلام قوته التى سيطرت على القلوب، وأخذت بعقول الكثير من الأوربيين فأزعج ذلك الكثير من

---

١ - التبشير والاستشراق للمستشار: محمد عزت الطهطاوى ص ١ .

قساوسة أوربا، وبعض قادة حكوماتها فأخذوا يعملون - جادين فـــي عملهم - على تفتيت وحدة المسلمين فى بلاد الأندلس، فلما نجـــحوا فى ذلك بدءوا فى مهاجمة المسلمين، وبذلوا فى ذلك أثمن ما لديـــهم من مال ورجال فقامت معارك طاحنة بينهم وبين المسلمين فى بـــلاد الأندلس انتهت بانتصار الأسبان على المسلمين حين هجر المســلمون دينهم وبعدوا عنه، ففلوا بذاك السلاح الذى عبروا به إلى أوربا.

وبعد أن استولى المسيحيين على بـــلاد الأندلـــس وطـــردوا المسلمين منها بدأوا فى إعداد العدة لغزو المسلمين فى شرقهم؛ ففـــى عام ١٠٩٥م عقد الأوربيون اجتماعاً كنسياً قرروا فيه إعداد حـــرب صليبية ضد المسلمين، وغزو بلادهم؛ فبدأت أولى هذه الحملات فـــى عام ١٠٩٦، وانتهت فى عام ١٠٩٩م، فخسر الأوربيـــون خســائر فادحة فى الأرواح والأموال من جراء هذه الحملة الفاشلة.

ثم توالت الحملات الصليبية الفاشلة على البـــلاد الإســلامية إلـــى أن كانت حملة لويس التاسع على مصر عام ١٢٤٨م وقد انتصر فـــى أول الأمـــر حين استولى على مدينة دمياط وضواحيها بعد أن هجرهـــا جيشـــها وأهلـــها، ولاذوا بمدينة المنصورة فتحصنوا بها مع الجيـــش المرابـــط هنـــاك المتـــأهب لمواجهة الحملة الفرنسية التى أعزى قائدها لويس التاسع ســـقوط دميـــاط فـــى قبضة دون مقاومة تذكر فتقدم إلى المنصورة يحدوه زهو فقاده غـــروره إلـــى هزيمة طاحنة انقشع غبارها عن مصرع معظم جنوده وفـــر بقيتـــهم. يـــرون لمن خلفهم أن الظلم مرتعه وخيم، وأسر لويس التاسع صـــاحب عـــير الحملـــة ونفيرها، ومعه فى قيده النبلاء والقساوسة الذيـــن شـــاركوه عتـــوه وغـــروره، وأودعوا دار ابن لقمان بالمنصورة، ولم تفك رقبته، ورقاب مـــن شـــربوا مـــن

كأسه إلا بعد أن وافقوا على شروط المنتصرين كلها، ومنـــها تسـليم مدينـة دمياط، ودفع فدية مالية كبيرة، وكان ذلك عام ١٢٥٠م.

لكن لويس التاسع حين كان سجيناً في دار ابن لقمان يشـرب من كأس الذلة حتى الثمالة أخذ يفكر فهداه تفكيره إلى اتخاذ التبشـير بديلاً عن الحملات العسكرية لتدمير الإسلام والمسلمين؛ لقد كلفتـهم الحروب التي شنوها على الشرق المسلم الأموال الطائلة، والأنفـس الكثيرة دون أن يحققوا دافقاً مما جردوها من أجله، وبـاءت جميـع حملاتهم بالفشل؛ فالحملات - إذن - تجارب فاشلة فما البديل؟!

البديل - بلا جدال - هو التبشير، ومن هنا بـدأت حمـلات التبشير تحمل حقائبها السوداء إلى المشرق الإسلامي.

وإذا كانت آراء الباحثين في هذا الفن تتفاوت في تحديد بدايـة التبشير في البلاد الإسلامية فإنه لا مندوحة لنا مـن عـرض هـذه الوجهات التي تمثلت أمام مرآنا على النحو التالي:

أولاً :

أن التبشير في البلاد الإسلامية بدأ بعد عودة لويس التاسـع إلى فرنسا بعد أن فك أسره فـي القـرن الثـالث عشـر الميـلادي وبالتحديد عام ١٢٥٠م.

ذلك لأنه حين كان أسيراً بالمنصورة، وأبصر هزيمتـه المـرة التـي جلبت له الذلة والعار، وأودت بالكثير من رجاله أخذ يفكر فـأدرك أن الحـرب تجربة جربها وآباؤه من قبله وفشـلوا فـأراد أن يسـتبدل الحمـلات السـلمية بالحملات الدموية القتالية، يقول المؤرخ الفرنسي "جـان دي جوانفيـل": وقـد كان ممن رافقوا لوي التاسع في حملة :

"إن خلوته فى معتقله بالمنصورة كانت فرصة هادئة ليفكر بعمق فى السياسة التى كان أجدر بالغرب أن يتبعها إزاء المسلمين، وقد انتهى به التفكير إلى تلك الآراء، والمآخذ التى أفضى بها لأعوانه المخلصين، أثناء رحلته إلى عكا مقلعاً إليها من دمياط.

وكان ما انتهى إليه لويس التاسع أنه لم يعد فى وسع الكنيسة أو فرنسا مواجهة الإسلام، وأن هذا العبء لابد أن تقوم به أوربا كلها لتضييق الخناق على الإسلام، ثم القضاء عليه، ليتم لها التخلص من الحائل الذى يحول دون تملكها لآسيا وإفريقيا.

وعلى هذا فقد وجد لويس التاسع ما يغنيه عن الحملات العسكرية. وسفك الدماء، فقد رأى أن تتحول الحملات العسكرية إلى حملات سلمية تهدف إلى:

١ - وقف انتشار الإسلام فى جميع أنحاء العالم خاصة آسيا وأفريقيا.

٢ - العمل على القضاء على الإسلام فى العالم كله خاصة فى البلاد العربية والإسلامية.

٣ - اعتبار القساوسة الذين يذهبون إلى البلاد المشار إليها للتنصير بها جنوداً للغرب.

٤ - تجنيد المنصرين - القساوسة - الغربيين لمحاربة الإسلام وتعاليمه[1].

---

١ - من كتاب "التبشير وأثره فى البلاد العربية والإسلامية" للدكتور/ أحمد سعدالدين البساطى ص ١٧ نقلاً من كتاب "حقيقة التبشير بين الماضى والحاضر" للأستاذ/ أحمد عبدالوهاب ص ١٥٣. ١٥٤.

ثانيـــاً :

يرى أصحاب هذا الرأى الثانى أن التبشير بدأ فـــى الربـــع الأول من القرن الرابع عشر الميلادى، وذلك بعد المؤتمر الكنســـى الذى عقده القساوسة الأوربيون فى فينا عام ١٣١١م - ١٣١٢م حيث قرر هذا المؤتمر إرسال بعثـــات نصرانيـــة إلـــى البـــلاد العربيـــة والإسلامية لتحويل المسلمين وغيرهم إلى نصارى.

ثالثـــا :

يرى بعض الباحثين فى هذا الفن أن مراكز التبشير بدأت فى أواخر القرن السادس عشر حين بدأت عملها من جزيـــرة مالطـــة، واعتبرتها قاعدة هجوم لها على الشرق الإسلامى كله، ثم انتقلت إلـــى بلاد الشام عام ١٦٢٥م بيد أن نشاط هذه المرحلـــة كـــان محـــدوداً للغاية[١].

رابعـــاً :

يرى أصحاب هذا الاتجاه الرابع أن التبشير بدأ فـــى القـــرن السابع عشر الميلادى؛ فقد كتب القس "ميليز" الفرنسى الجنسية كتابـــاً بلغة قومه تحدث فيه عن الحروب الصليبية فى الشرق، فبين سياســـة فرنسا الدينية فى البلاد التى ترسل إليها حملاتها فكتب يقول:

"إن الحروب الصليبية الهادئة التى بدأها مبشرونا فى القـــرن السابع عشر لا تزال مستمرة إلى أيامنا.

---

١ - المصدر السابق ص ١٨ نقلاً من كتاب : التبشير والاستشـــراق للأســـتاذ/ أنور الجندى ص ٢١ .

إن الرهبان الفرنسيين، والراهبات الفرنسيات لا يزالون كثيرين فى الشرق، ولقد احتفظت فرنسا طويلاً بروح الحروب الصليبية، والحنين إلى تلك الحروب حية فى نفسها، وكثيراً ما فكر ملوكها فى حملة صليبية جديدة، لكن أروقة المشنقة كانت تجعل دائماً من المستحيل أن تقوم بحملة بعيدة المدى، وكان من غايات الامتيازات الأجنبية، أن تحتفظ فرنسا دائماً بالدور الذى يلعبه رهبانها، وأن توسع ذلك الدور، وقد اعترفت لقناصلنا وسفرائنا بالحماية للنصارى، تلك المهمة الصعبة التى لم تخلع عليهم إلا شرف حضور الصلاة فى الكنائس، ولقد كانوا يبذلون جهداً ليهدئوا من ارتجاف المسلمين المتعصبين، وليمحوا أعمال المبشرين فى الإمبراطورية العثمانية، وقد كان ممثلو فرنسا يساندون أعمال مبشرينا، وخصوصاً فى القرن السابع عشر، وقد كانت فرنسا تختار قناصلها وسفراءها من رجال الدين[1].

خامساً :

ويرى بعض الباحثين أن التبشير بدأ فى مطلع القرن التاسع عشر الميلادى حين اتسع نفوذ الاستعمار فى البلاد الإسلامية فى الشرقين: الأقصى والأدنى واللذين تقطنهما أغلبية إسلامية؛ فقد وجدت قوى التنصير من المستعمرين كل عون وسند أهلها للقيام بدورها لردة المسلمين عن دينهم، ومن أهم هذه العوامل ما يلى:

أ) الامتيازات الأجنبية.

---

١ – المصدر السابق ص ١٩ نقلاً من كتاب الحروب الصليبية فى الشرق للقس ميليز .

ب) نفوذ القناصل.

جـ) سيطرة الدولة الأجنبية على كثير من الأمراء: كالشاة ناصرالدين فى إيران، والخديوى إسماعيل فى مصر، وغيرهم ممن فتح لهم باب الاستدامة[1].

ولعل هذه الآراء جميعها صحيحة - فى تقديرنا - فموجات التنصير امتد لهيبها منذ متصف القرن الثالث عشر الميلادى ولا يزال بلاؤها على بلادنا ممتداً حتى اليوم وهى فى هذه المساحة الزمنية تقوم بأدوار وأطوار متفاوتة، وتلبس أثواباً مختلفة الشكل والهيئة.

ولقد كانت أوربا وحدها هى مصدرة هذا الخداع، وذاك البلاء إلى بلادنا الإسلامية، فكانت إرساليات التنصير تفد إلى البلاد الإسلامية من فرنسا وانجلترا وألمانيا وأيرلندا والسويد والدنمارك حين كان نفوذ المستعمرين سائداً فى البلاد الإسلامية والعربية، ولم يكن لأمريكا دور يذكر قبل القرن التاسع عشر الميلادى.

بيد أن أمريكا بدأت فى دخول هذا المضمار فى القرن التاسع عشر الميلادى حين أنشأ المجلس الأمريكى لمندوبى البعثات الأجنبية مركزاً للإرساليات التبشيرية فى بوسطن عام ١٨١٠م، ثم أرسلت أول موجة تنصيرية لها إلى بلاد الشرق الأدنى عام ١٩١٨م فكانت أول إرساليات تنصيرية لها.

ولقد اتخذ هؤلاء المنصرون الأمريكيون من جزيرة مالطة مركزاً لهم حيث بدأوا ينطلقون منها للتجول فى البلاد الإسلامية المطلة على شواطئ البحر الأبيض المتوسط، بعد أن أنشأت لهما مطبعة فى مالطة، ثم انطلقوا إلى القدس، وبيروت.

---

١ - انظر مخططات التبشير ، والاستشراق للأستاذ/ أنور الجندى ص ١٩.

وفى عام ١٩٣٤م انتشرت البعثات التنصيرية فى بلاد الشام، فنقلت الإرساليات الأمريكية مطبعتها من مالطة إلى بيروت فاستقرت الإرساليات فى بلاد الشام، ونقلت مركزها من مالطة إلى بلاد الشام.

هذه هى أهم الآراء التى قيلت عن بداية التبشير إلى العالم الإسلامى، وإن كان هناك رأى آخر يرى أن الاستشراق فى القرن الثانى عشر الميلادى؛ فبعد هزيمة الصليبيين، وإصابتهم بخيبة أمل راحوا يفكرون فى وسيلة أخرى يقضون بها على الإسلام، وينشرون المسيحية فكانت فكرة التنصير.

ففى عام ١١٥٤م أسس راهب صليبى فى -الأرض المقدسة - وفى جبل الكرمل داراً لرهبنة عرفت بالرهبنة الكرملية نسبة إلى جبل الكرمل، ثم انتشروا فى سوريا ولبنان، ثم أسسوا لهم مركزاً فى طرابلس، ثم تلا ذلك تأسيس دارين للرهبنة هما: الفرنسسكان والدومينيكان فى مستهل القرن الثالث عشر الميلادى.

وبعد مدة قصيرة أسست إرسالية تنصيرية فرنسسكانية فى مدينة طرابلس، كما أسس دير فى بيروت.

وفى عام ١٢٣٠م وصلت إلى دمشق إرسالية دومينيكانية فتقدمت إلى طرابلس وعكا وأماكن أخرى حيث أسست لها عدداً من الأديرة الأمر الذى دفع "وليم الطرابلسى" وهو أحد الأساقفة الدومينيكان بلبنان إلى أن يكتب فى عام ١٧٢٠م كتاباً يقول فيه:

"نريد مرسلين لا جنوداً لاسترداد الأرض المقدسة"[1].

---

١ - أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها للأستاذ/ عبدالرحمن حنبكه الميدانى ص ٢٩ نقلاً عن كتاب لبنان فى التاريخ تأليف فيليب حتى ترجمة أنيس فريحة ص ٣٩٤.

نماذج من المؤتمرات التنصيرية فى العالم

أ) الخطوط العامة لمؤتمرات التبشير المسيحى.

ب) وسائل هذه المؤتمرات واهتماماتها.

جـ) نماذج من هذه المؤتمرات.

-المؤتمر التبشيرى المنعقد فى القاهرة عام ١٩٠٦م.

-المؤتمر التبشيرى المنعقد فى أدنبرج بانجلترا عام ١٩١٠م.

-المؤتمر التبشيرى المنعقد في لكنو بالهند عام ١٩١١م.

-مؤتمر القدس التبشيرى الرابع عام ١٩٣٥م.

لقد قامت هيئات التنصير بعقد مؤتمرات عدة بغية تحويل الأديان الأخرى إلى المسيحية، سلطت جل نشاطها إلى الدين الإسلامي بصفة خاصة؛ فهو الدين الوحيد الحق من بين أديان الدنيا كلها، وهو صاحب التراث الحي الذي يحمل الحجج الدامغة على صحة ما جاء به بقدر ما تنادي طبيعته بأنه وحي الله (تعالى)، المستعصي على التحريف والتزوير، والذي ينطق جوهره بصلاحيته لكل زمان ومكان، وللدنيا والآخرة، ومن هنا كان انتشاره واتساع رقعته، وازدياد أتباعه، وزحفه المثير إلى أوربا، وإلى العالم من حولها، فكان تمدنها وتقدمها، الأمر الذي أزعج قساوستها، وآباء كنائسها، فرصدت المال والرجال لمواجهة زحفه المثير، ومده اليقظ فرصدت المال والرجال لمواجهة زحفه فكانت هذه المؤتمرات المتآمرة حلقة من سلسلة ممتدة الحلقات لحرب هذا الدين.

هذا، وحديثنا عن هذه المؤتمرات شامل لمعالجة النقاط التالية:

أ) الخطوط العريضة لهذه المؤتمرات:

لهذه المؤتمرات التنصيرية أسس ثابتة راسخة قامت من أجلها، وانتظمت عليها حركتها في الحياة من هذه الثوابت.

١ - الحد من المد الإسلامي؛ بإقامة العقبات في طريقه، والحيلولة بين الإسلام والانتشار، في الوقت الذي يجب فيه العمل بجد لنشر المسيحية في بلدان العالم الإسلامي، وغيره من عالم لا ديني ليكون لهم قصب السبق فيه.

٢ - القضاء على الوحدة الإسلامية: عماد المسلمين، ومصدر قوتهم والإكثار من الدعوة الإقليمية، وتفتيت الأمة إلى

دويلات يعادى بعضها البعض الآخر، وتحمل كلتاها السيف لقتال الأخرى فيكون بأسهم بينهم شديداً فيذهب ريحهم، ويضحون لقمة سائغة لنا، فنردهم إلى المسيحية ونفضهم عن دينهم متى وكيف نشاء.

٣ - القضاء على الوحدة الفكرية بين علماء الأمة، وإشاعة الاختلاف فى وجهات النظر الذى بدا بين رجال الفكر الإسلامى، وبيان أنه التفرق الذى ما ظهر فى أمة فقامت لها قيامة قط، لا على أنه دليل على اتساع أفق الإسلام، وحرية الرأى فيه.

٤ - محاربة تدريس مادة الدين، ويعنون به مادة الدين الإسلامى، لتنشئة جيل فارغ القلب واللب من الإيمان بالله (تعالى) والاستعداد ليوم لقاه، فلا يغار على عرض ينتهك أو ما ينتهب، أو حمى يستباح، فى الوقت الذى يعتنى فيه بنشر المسيحية وعرض مبادئ المحبة، والصلب والفداء ليجذب جموع الشباب إليها.

٥ - إثارة الشبهات حول ما جاء به الإسلام من عقائد وشرائع خاصة ما يتعلق بتشريع الإسلام للمرأة المسلمة، وإشاعة أن الإسلام ظلمها حقها، وقتل حريتها، والمناداة بمساواتها بالرجل، وخروجها من بيتها، وحريتها، وزعمهم أنها لن تحصل على ذلك إلا فى ظل المسيحية.

٦ - إشاعة أن المبشرين بدين المسيح بمقدورهم هدم الإسلام فى نفوس المسلمين؛ فهم بما يملكون من قدرة على الجدل والمحاورة، وبما يتمتعون به من عقول راجحة، وبما يفهمون عن دقائق المسيحية، وبما قدم المستشرقون من دراسات شائهة عن

الإسلام، وبما يقدم لهم ملوك أوربا وأمرائها من عون مادى وأدبى وعسكرى.

ولقد اتخذوا لذلك وسائل عدة من أهمها تقديم الفكر الأوربى الصليبى ليحل محل الفكر الإسلامى بدعوى أن هذا هو الأصح والأفضل لتقدم الشرق ورقيه فالإسلام - فى تقديرهم الخاطئ الزائف - يدعو إلى التخلف، وأن تخلى المسلمين عن عاداتهم وتقاليدهم وآدابهم، وتزييهم فى هذا كله بزى الغرب هو التطور الذى لا يعدله تطور، بقدر ما هو بريدهم إلى ترك الإسلام، والدخول فى المسيحية، أو على أقل الفروض وأدناها لأعمال التبشير يقربهم من المسيحية، ويشككهم فى دينهم فيقلل من تمسكهم به.

هذه هى الخطوط العريضة التى أجمعت المؤتمرات التبشيرية على النسج على منوالها، ولقد اتخذت لذلك وسائل شتى، فما وسائلها وما مناهجها لتحقيق ومطامحها الفاجرة؟

وسائل هذه المؤتمرات واهتماماتها

لقد كانت لهذه المؤتمرات - بصفة عامة - وسائلها واهتماماتها، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر.

١ - اهتمامها بدراسة المطبوعات التى يحتاج إليها المبشرون سواء أكانت كتباً دينية مسيحية أم مقالات دينية مسيحية كذلك كتبها آباء الكنائس وكبار القساوسة من أى طائفة من طوائف النصارى المختلفة.

٢ - ترجمة التوراة التى بين يدى القوم إلى اللغات الإسلامية الحية مثل العربية، والفارسية، والتركية، والأردية، وتوزيعها على المسلمين فى مختلف أوطانهم فى محاولة لالتفاف المسلمين حول ما جاءت به.

ولقد نالت البلاد العربية النصيب الأوفر، ثم تلتها تركيا، فإيران ثم دول جنوب شرق آسيا.

٣ - إنشاء المدارس والمعاهد والكليات المسيحية فى البلاد الإسلامية؛ وذلك لتعليم أبناء المسلمين - مع المناهج الدراسية - مبادئ المسيحية بصورة مشوقة محببة، وشرح الأناجيل الأربعة، وغرس النصرانية فى نفوسهم.

٤ - إنشاء المراكز والمدارس والمعاهد والكليات التنصيرية لتخريج أجيال من المنصرين البارعين فى حبك المؤامرات ضد الإسلام حسبما تقتضيه ظروف البلاد التى سيتوجه إليها المستشرقون وأعرافها بعد دراسة ظروفها المادية والخلقية والصحية وتزويدهم بذلك.

٥ - إعداد مناهج تعليمية تتناسب مع كل مؤسسة من هذه المؤسسات.

٦ - وأد كل مقاومة تحاول اعتراض طريق الإرساليات التبشيرية فى أية بلد يذهب إليها المبشرون ناشرين أباطيلهم.

٧ - إحياء النعرات الجاهلية التى كانت سائدة قبل الإسلام، وجاء فأبطلها مثل:

أ) الفرعونية فى مصر.

ب) البربرية فى المغرب.

جـ) الفينيقية فى لبنان.

د) مساعدة وتنشيط الدعوات الهدامة مثل: البابية، والبهائية، والقاديائية، وما إليها.

هـ) الانتفاع بنشاط المحافل الماسونية.

و) الدعوة إلى العامية، ومحاربة اللغة العربية الفصحى فى البلاد العربية الإسلامية.

ز) محاولة استعلاء النظرة الإقليمية على النظرة الإسلامية.

ح) العمل الجاد على تفريق كلمة المسلمين، وكذلك بين العرب.

ط) العمل على سيطرة العالم الأوربى على العالم الإسلامى.

ى) العمل على إيجاد مؤسسات دينية نصرانية فى البلاد الإسلامية كلها على غرار الأزهر فى مصر؛ وذلك لتخريج أجيال من المبشرين النصارى من الأقليات غير المسلمة التى تحيا فى هذه البلاد بمعاونة قساوسة منهم، ومن أوربا وأمريكا وكندا.

ك) إيجاد جيل من المسلمين المستغربين الذين يعملون على ترويج فكر الغرب ليقف أما الثقافة الإسلامية وليشكك المسلمين فى دينهم.

ل) بث حملات التشويه ضد الإسلام.

ولقد اتخذت هذه الحرية الفكرية الشرسة التى شنها الغـــرب الحاقد على الإسلام والمسلمين صوراً شتى، ومظاهر وأنماط متعـددة نذكر منها على سبيل المثال:

أولاً :

الطعن فيما جاء به الإسلام من عقائد وشرائع وأخـــلاق وفـــى كتابـــه الكريم، ومصدر وحيه الأول القرآن الكريم وفى ســـنة رســـوله الأكـــرم ﷺ ، بل وفى شخص محمد ﷺ ، ثم فى حمـــلات التشـــويه للتـــاريخ الإســـلامى، ولنظام الحياة فى الإسلام، وللتراث الإسلامى كله.

ثانياً :

حملات التغريب للحضارة الإسلامية ولأشخاص المســـلمين أنفســـهم، وللتعليـــم، والثقافـــة، وللنظـــم الاجتماعيـــة والسياســـية والاقتصادية، وتغريب الأخلاق والآداب، ثم تكون الطامـــة الكـــبرى بتغريب اللسان.

ثالثاً :

الجد والاجتهاد فى نشر هذه المبادئ الهدامة، وترويجها على يد:

أ) مؤسسات عديدة ومراكز خطيرة مثل:

*-الصهيونية العالمية.

*-الاستعمار.

*-التبشير.

ب) النظريات المعادية للإسلام مثل:

*-الديمقراطية.

*-الشيوعية.

*- الاشتراكية.

*-القومية.

جـ) الفلسفات الهدامة مثل:

*- الوجودية.

*-الفوضوية.

*-عرى النساء.

*-تخنث الرجال، وترجل النساء.

د) نشر وتشجيع ما يهدم القيم الخلقية مثل السينما المسرح الملاهى والجمعيات الهدامة مثل: الماسونية، وأندية الروتار وغيرها.

ادعاءات المستشرقين والمبشرين على الإسلام، ورفضهـــا

يكتب عن الإسلام غير المسلمين من الغرب الصليبى والشرق الملحد من يتأرجح هجومهم على الإسلام بين الهجوم الشرس المغالى ، والهجوم الشرس فقط: فما يكتبون عنه لنصرته، ولا لإبراز حكمه التى تناهت فى العدالة والسمو ، وإنما يكتبون عنه لطمس معالمه، ويتدارسونه لإثارة الشبهات من حوله بغية فض الناس من حوله وردة أتباعه عنه إلى المسيحية.

-وللأستاذ العقاد (يرحمه الله) فهم دقيق لطبيعة هؤلاء المستشرقين أبان عنه حين كتب يقول:

" ...... وكتاب الغرب حين يكتبون عن الإسلام يتفاوتون فى قيمة الكتابة ولكن تفاوتهم على حسب البواعث والنيات أضعاف تفاوتهم على حسب الدراسة والمعرفة ؛ لأنهم طوائف مختلفة لا تتفق فى الوجهة ، ولا فى الخلق ولا فى الاستعداد.

فمنهم المبشرون الذين ينحرفون عن الصواب: اضطراراً واختياراً بباعث من التعصب، وباعث من حكم الصناعة أو الحرفة ؛ لأن التبشير عندهم منفعة يعيشون عليها، ويحرصون عليها حرصهم على القوت والحياة.

وممن يكتبون عن الإسلام من الغربيين أناس يخدمون السياسة الغالية على دولهم، ويصطنعون لغة الدعاية تارة، ولغة الدهان أو الدبلوماسية تارة أخرى.

ويكتب عن الإسلام فى الغرب طلاب المعرفة من المستشرقين الذين نشأوا فى العصر الحديث بمعزل عن دوائر التبشير ودوائر السياسة، ومنهم من ينشد الرأى خالصاً لوجه الحقيقة العلمية ولكنه مشوب بالقصور الذى لا مفر منه لمن يكتب عن الأدب فى لغة أخرى، وليس هو من أبنائها، ولا هو من الأبناء

فى لغته التى نشأ عليها، وبعضهم لا رأى له فى أدب بلاده لأنه لم يشتغل به، ولم يتأهب له بعدته من الذوق والفطنة التى تؤهله للتخصص فيه؛ فليست معرفته بالعربية عدة كافية له فى تقدير الأدب العربى لأنه يعرف لغته - لغة الأم كما يقال - ولا معول على رأيه فى أدبها بين قومه.

ويكتب عن الإسلام فى الغرب أناس يتشيعون له بمقدار ثورتهم على سلطة الدين فى بلادهم؛ فهم يتطلبون محاسنه، ويقابلون بها مساوئ السلطة التى يثورون عليها، ولا يندر فيهم من ينصف الإسلام ويهتدى إلى محاسنه السمحة، وإن لم يدن به، ولم يكن على دين غيره[١].

ولهؤلاء المستشرقين - مع تنوعهم المشار إليه سلفاً - غايتان هما: ما يشير إليهما

الدكتور/ البهى حين كتب يقول:

"وينطوى عمل الدارسين للإسلام من المستشرقين على نزعتين:

النزعة الأولى: تمكين الاستعمار الغربى فى البلاد الإسلامية، وتمهيد النفوس بين سكان هذه البلاد لقبول النفوذ الأوربى والرضا بولايته.

النزعة الثانية: الروح الصليبية فى دراسة الإسلام: تلك النزعة التى لبست ثوب البحث العلمى، وخدمة الغاية الإنسانية المشتركة"[٢].

هذا وسبيلنا الآن أن نعرض بعض شبهات المستشرقين والمبشرين ونرد عليها.

١- ما يقال عن الإسلام للأستاذ / عباس محمود العقاد ص ٧ ، ٨ دار الهلال.

٢- الفكر الإسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى د/ محمد البهى ص ٣٧ .

شبهات المستشرقين والمبشرين

حول زواج النبى ﷺ

وردهـــا

أولاً : أقوال بض المستشرقين.

ثانياً : الرد على هذه المغالطات.

دأب الكثير من المستشـــرقين علـــى الطعـــن فـــى زواج النبىﷺ، ولقد تمادى بعضهم فسمى هذا الزواج بســـفاح الأقـــارب، بقدر ما أضافوا على بعض الزيجات ضروباً من الخيال تعكس تـــأثر النبى ﷺ بالنساء - بزعمهم - ووصفه بأنه رجل شهوانى يقوده حـب جارف ملأ قلبه وكيانه فهام شوقاً بالنساء ومتع الحياة.

نذكر أقوال بعضهم ، ثم نتعقبها بالرد .

أولاً : أقوال بعض المستشرقين فى زواج النبى ﷺ .

١ - إميل در منغم[١].

"شعر محمد - فى العقد الأخير من عمره بميل كبـــير إلـــى النساء ...... ودخل محمد ذات يوم ببيت زيد بن حارثة بعد الفـــراغ من غزوة بنى النضير ، وكان زيد فى ذلك اليوم غائباً عـــن بيتـــه، فوجد محمد نفسه تجاه زوجة زيد زينب بنت جحش التى كانت أجمل فتيات قومها، وكانت زينب هذه آنذاك سافرة وشبه عارية، وعاملـــة على زينتها وإدارة بيتها، فأثر هذا الجمال السافر الغض الفياض فـــى نفس النبى فقال: سبحان مقلب القلوب، ولم ينطق بغير هذه الكلمـــة، وانصرف حالاً، قصت زينب ما رأت على زوجـــها زيـــد فـــارتبك كثيراً، وكان زيد المخلص لمحمد المنعم عليه يعلم مزاجـــه المتقـــد، وبدأ الوضع محيراً إلى الغاية".

والعجيب أن هذا المستشرق معتبراً لدى الكثير من المســـلمين أنه من المستشرقين المعتدلين حين قورن بغيره من بنى جنسه.

١- حياة محمد لإميل در منغم - ترجمة عادل زعيتر ص ٢٩٩ .

٢ - مونتجومرى وات[١].

"وقد ذهبت - أى زينب - إلى المدينة مع أخوتها ، وزوّجها محمد بالرغم عنها من ربيبه: زيد بن حارثة، وقد ذهب محمد فيما بعد حوالى السنة الرابعة للهجرة (٦٢٦) إلى بيت زيد للتحدث إليه، وكان زيد غائباً فشاهد زينب وهى عارية فأحبها كما يقولون لتوه فمضى وهو يقول لنفسه: سبحان مقلب القلوب".

وقال قبلاً فى نفس الكتاب:

"ونعلم من بعض الوثائق أن محمداً بالإضافة إلى زيجاته الشرعية واتصالاته بالجوارى كانت له علاقة مع نساء أخريات وذلك حسب النظام الأممى القديم"[٢].

٣ - غوستاف لوبون:

" وضعف محمد الوحيد هو حبه الطارئ للنساء - وهو الذى اقتصر على زوجته الأولى حتى بلغ الخمسين من عمره - ولم يخف محمد حبه فقد قال: (حبب إلىّ من دنياكم ثلاث: الطيب والنساء وجعلت قرة عينى فى الصلاة ولم يبال محمد بسن المرأة التى يتزوجها فتزوج عائشة وهى بنت عشر سنين ، وتزوج ميمونة وهى فى الحادية والخمسين من سنها ، وأطلق محمد العنان لهذا الحب حتى أنه رأى اتفاق زوجة ابنه بالتبنى وهى عارية فوقع فى قلبه منها شئ فسرحها بعلها ليتزوجها محمد فاغتم المسلمون فأوحى إلى

١- محمد فى المدينة" لمونتجومرى وات - ترجمة شعبان بركات ص ٥٠٢ .

٢- المرجع السابق ص ٤٣٤ .

محمد بواسطة جبريل - الذى كان يتصل به يومياً - آيات تسوغ ذلك، وانقلب الانتقاد إلى سكوت"[١].

هذه لمحة من كثير يفيض حقداً على الإسلام، ومغالطة فى عرض حقائقه ومبادئه، وتصوير حياة رسول الله ومصطفاه محمداً الذى أسس للعفاف والتقى، فهم يصورونه بأنه رجل نساء وشهوات نذر حياته للمتع والشهوات.

وبالرغم من ضيق صدرى من هذه المهاترات التى حكاها هؤلاء الكاذبون على رجل قال فيه خالقه ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ إلا أننى سأكون موضوعياً فى ردى على هؤلاء الكاذبين.

ثانياً : الرد على هذه الشبهات:

وهذا التصوير الماجن لحياة محمد ﷺ مردود بالحقائق التالية:

الأولى: أن الرسول ﷺ كان أقل المسلمين حظاً فى الزواج:

وبيان ذلك:

أن الرسول ﷺ قد دخل باثنتى عشرة امرأة تزوج بإحدى عشرة امرأة وتسرى بمارية القبطية، وأحدنا يستطيع أن يدخل بمائة امرأة شريطة ألا يبقى فى عصمته منهن إلا أربعاً، لكن الرسول ﷺ قال له مرسله بعد آخر زيجة تزوجها ﴿ لاَ يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلاَ أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلاَّ مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ ..... ﴾[٢].

١- حضارة الغرب غوستاف لوبون - ترجمة عادل زعيتر ص ١١٢.

٢- سورة الأحزاب : ٥٢ .

كما حرم على زوجاته التزوج بعد وفاته ﷺ ؛ فهن أمـهات المؤمنين ؛ فلولا تشرفهن بصحبة رسول الله ، واقترانهن به - وهـو شرف لكل أنثى لا يدانيه شرف - لكن أقل الناس حظاً فى الـزواج فبعد موت رسول الله ﷺ حرم عليهن الزواج بغيره وكانت منـهن - كعائشة - من لم تتجاوز التاسعة عشرة من عمرها.

فالرسول ﷺ كان أقلنا حظاً فى الزواج.

الثانية : أنه لا وقت عنده للنساء .

فهو الرجل الذى أمره ربه فأتمر - وهو لا يملـك إلا أن يـأتمر - ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ (١) قُمْ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلاً (٢) نِصْفَهُ أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً (٣) أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلْ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً ﴾(١). وشغل نهاره كله بنشر الدعـوة ، وإرسـاء قواعدها ، وإقامة منهج متكامل يضمن أمن الحياة ، ويكفل سـلامتها ويواكـب تطورها مهما كان تقدمها ، ويمتد أمده إلى نهايـة الحيـاة مـا بقيـت حيـاة ، ويواجه - فى سبيل نشر دعوته التى لا يملك السكوت عنها - صلف الوثنيين وكبريائهم المعتوه ، وغدر اليهود وخيانتهم ، وخبثهم وكيدهم؛ فماذا بقـى لـه للنساء فى يومه وليله، وهو ﷺ يحمل هموم أمة سترث ملك دنيا لـها بريقـها وزخرفها، وهو فرطها على الصراط يوم القيامة . فيحزنـه انحرافـهم إليـها ونسيان العمل للآخرة التى يدرك مآلهم فيها وما ينتظرهم.

الثالثة :

أن تعدد زوجات النبى ﷺ حمل الخير الكثير للدعوة ، فقـد كانت أمهات المؤمنين نعم الوزيرات والمشيرات ، كما حملن عبئـاً

١- سورة المزمل : ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ .

أكبر فيما يتعلق بالحياة الزوجية بلغنه إلى بنات جنسهن مما يتعلق بالمباشرة الزوجية والاغتسال بعدها، والتطهر من الحيض، والقبلة أثناء الصيام وغيرها مما كان يتحرج منه الرسول ﷺ، ويمنعه حياؤه من مواجهة النساء المسلمات به - وقد جئنه راغبات في معرفة شرعة الله منه لهن.

وقد حازت عائشة (رضى الله عنها) قصب السبق في ذلك، فعن أحد الصحابة قوله بشأنها:

"ما أشكل علينا أصحاب محمد ﷺ أمر قط فسألنا عنه عائشة إلا وجدنا عندها منه علماً".

أما خديجة (رضى الله عنها) فقد كانت له نعم العون في تبليغ الدعوة، ونشرها لا سيما موقفها معه يوم جاءه الوحي في غار حراء وقد جاءها يرتجف ويقول زملوني زملوني.

كما لا ننسى مشورة السيدة سودة يوم الحديبية، ونساؤه التسع اللائي مات ﷺ عنهن كن من بعده معلمات ومفتيات فيما لم يعلمه غيرهن من أحكام شرعية، وآداب روحية، وحكم نبوية بل كن القدوة الصالحة في الخير والبر، ولو ترك واحدة فقط لما كانت تغني في الأمة غناء التسع.

<u>الرابعة : معاشرة جل الرسل للنساء وتزوجهم بهن.</u>

فقد تزوج الرسل وعاشروا النساء دون أن يقدح ذلك في بعثتهم، أو يقلل من شأن نبوتهم، ومحمد ﷺ على قمتهم، فهو واحد منهم تدفعه بشريته - التي ما زعم قط أن البنوة جردته منها - إلى معاشرة النساء.

وحين قال اليهود عنه ﷺ :

"ما نرى لهذا الرجل همة إلا النساء والنكاح ، ولو كان نبيا - كما زعم - لشغله أمر النبوة عن النساء"[1]. رد الله (تعالى) ادعاءهم الباطل بقوله: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴾[2].

الخامسة: الترتيب الزمنى لزيجاته مع التفاوت السنى لكل زوجة:

فلو كان زواجه ﷺ كما يدعى خصوم الإسلام لشهوة لما تم بهذه الصورة التى كان عليها؛ فقد تزوج ﷺ وهو فى ريعان شبابه بالسيدة خديجة (رضى الله عنها) وهى تكبره بخمسة عشر عاماً، فلو أدرنا عجلة الزمان إلى الأمام خمسة عشر عاماً مثلها ؛ وهى فترة ليست بالكبيرة يقضيها الزوجان معاً - لكان الرسول فى الأربعين عاماً، وزوجه الرءوم فى الخامسة والخمسين، والأربعون هى سن النضوج، واكتمال الرجولة والفحولة والعقل بالنسبة للرجال، وسن اليأس بالنسبة للنساء فما بالنا بالخامسة والخمسين ولم يتزوج عليها رسول اللهﷺ إلى أن ماتت، فتزوج السيدة سودة وهى أرملة، وقد تجاوزت الخمسة والخمسين، ثم تزوج السيدة عائشة وهى بنت التسع سنوات - على أغلب الروايات - وقد تجاوز الخمسة والخمسين عاماً، ولم يتزوج بكراً سواها.

---

١ - الألوسى - جـ٣ صـ١٦٨ ط لبنان .

٢ - سورة الرعد : ٢٨ .

فلو كان زواجه لشهوة لتزوج البكر الصغيرة في بداية زواجه ، فهي التي تتطلبها شهوته لكن ترتيب زواجه كان على غير ما تطلبه الشهوة الجامحة - إذن: فكل زيجة كانت لحكمة تنآى كل التنائى عن الولع بمباشرة النساء.

السادسة : توطيد الأواصر، وتوفير الحماية، والتكريم لهن ولآلهن:

لقد كان تعدد زواجه ﷺ لغايات سامية تناهت في السمو، وحازت زوجاته قمة ما تبوأها غيرهن حين لقبهم القرآن الكريم بأمهات المؤمنين فقال (تعالى): ﴿ النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ . . . . ﴾[1]. فكان التعدد لهذه الغايات النبيلة المقصد.

– لتقوية الروابط ، وتوطيد الصلات ، كما حد للخلفاء الراشدين تزوجاً وتزويجاً ؛ فقد تزوج الرسول ﷺ من عائشة بنت أبى بكر، وحفصة بنت عمر، وزوج رقية وأم كلثوم لعثمان، وفاطمة لعلى (رضي الله عنهم أجمعين).

– للتكريم ، كما حدث فى زواجه ﷺ من سودة بنت زمعة.

– لإبطال عادة ألفتها قريش. ومحاها الإسلام ، كما حدث فى زواجه ﷺ من زينب بنت جحش.

– للحماية : كما حدث فى زواجه ﷺ من زينب بنت خزيمة ، وجويرية بنت الحارث ، وأم سلمة، وأم حبيبة.

---

١ – سورة الأحزاب : ٦ .

- لتطييب نفوس آلها كما حدث في زواجه ﷺ من ميمونة بنت الحارث.

- لتحريرها من الرق ، كما حدث في زواجه ﷺ من صفية بنت حيي بن أخطب ، وتسريه بمارية القبطية .

<u>السابعة :</u> سبق غيره له من إخوانه الأنبياء في التعدد .

سبق غيره : من أنبياء بني إسرائيل له في التعدد.

فقد سبق الرسول في التعدد غيره من أنبياء بني إسرائيل بل إن إسرائيل نفسه تزوج بأربع هن[1] ليا ، وراحيل ابنتا خاله لابان ، وجاريتيهما بلها، وزلفا، وهو عليه السلام من ينسب إليه بنو إسرائيل: فهو أبوهم، وداود عليه السلام وهو من أنبياء بني ذوي المكانة عندهم فقد تزوج تسعاً وتسعين امرأة، والذي لا مرية فيه أن شريعة بني إسرائيل لم تبح ذلك.

<u>الثامنة :</u> أنه لم يعدد زوجاته إلا بعد بلوغه سن الشيخوخة:-

فقد تزوج ﷺ السيدة/ خديجة بنت خويلد (رضي الله عنها) وهو ابن الخامسة والعشرين عاماً ولم يدخل عليها غيرها طيلة حياتها حتى توفاها الله (تعالى) قبل الهجرة بثلاث سنوات أي وسنه ﷺ قد بلغت الخمسين عاماً وظل ﷺ وفياً لها طيلة حياتها وبعد موتها (رضي الله عنها) ، ثم تزوج بعدها السيدة / سودة بنت زمعة (رضي الله عنها) التي تكبره بخمس سنوات، ثم دخل بعائشة في السنة الثانية من الهجرة وهي بنت تسع سنين، وهو ابن خمس وخمسين سنة.

١- إنظ - العهد القديم - سفر الخروج الإصحاح - نص رقم

إذن فهو ﷺ لم يبدأ التعدد إلا وهو ابن خمس وخمسين سنة ، فهل هذه سن شهوات ورغبة جامحة إلى النساء؟!!

على أن رسول الله ﷺ لم يتجاوز العدد المباح لعامة الأمة إلا لثلاث سنوات فقط أى بعد تجاوزه الستين عاماً.

فلو كانت بواعث التعدد هى الشهوة ، وإرضاء الغريزة لاختار البنات الأبكار، وطلب الجمال من مظانه بين المهاجرات والأنصاريات بل ومن غيرهن حتى من ألد أعدائه، فقد كانت الجزيرة العربية كلها ترى فيه الرجل الكامل العظيم الذى تُخطب ساحته، ويُحتمى بحماه.

<u>التاسعة :</u> **أن كل زيجة لا تخلو من حكمة:-**

فالدارس لزواج النبى ﷺ يتبين له سمو كل زيجة منها، وترفعها عن المآرب الجسدية المدعاة.

وهذا العرض الموجز لزواج الرسول ﷺ يميط اللثام عن ذاك ويرينا على صفحة الهادئة ، أو الثائرة حكمة كل زيجة منها.

١- السيدة / خديجة بنت خويلد (رضى الله عنها):

تزوجها رسول الله ﷺ وهى أرمل فى الأربعين من عمرها، بعد أن عرضت عليه نفسها حين أخبرها خادمها ميسرة بأمانته وعفته وطهارته وخلقه، ورزق منها البنات والبنين ولم يرزق من سواها إلا إبراهيم من مارية القبطية ، وكانت له نعم المشيرة والوزيرة وسمى العام الذى ماتت فيه بعام الحزن، ولم يدخل عليها زوجة أخرى طيلة حياتها معه التى امتدت من الخامسة والعشرين

من عمره حتى تجاوز الخمسين عاماً من عمره، وهى فترة الرغبة في النساء.

ولسنا بحاجة إلى بيان الحكمة من زواجه ﷺ من السيدة خديجة بنت خويلد (رضى الله عنها) لسببين:

أ - أنها كانت واحدة فلم ثم تعدد .

ب - أنه لا شبهة للمستشرقين عليه.

٢ - السيدة / سودة بنت زمعة (رضى الله عنها):

كانت هذه السيدة العظيمة التى شرفت بالزواج من رسول الله ﷺ متزوجة بالسكران بن عمرو العامرى القرشى من السابقين إلى الإسلام ، والفارين بدينهم إلى الحبشة ، ومن الذين تحملوا الكثير فى سبيل دينهم ، أسلمت معه ، وهاجرت إلى الحبشة عبر البحار ، وتحملت فى سبيل دينها ما تحمله زوجها البار التقى الذى توفى عنها بعد الرجوع من هجرة الحبشة الثانية، فأصبحت بعد وفاته وحيدة لا معين لها ولا معيل سوى الله (تعالى).

لم تفكر قط فى العودة إلى مكة فلو فعلتها لعذبها آلها، ولأكرهوها على العودة إلى الكفر ، وعلم رسول الله ﷺ بأمرها فكفلها رسول الله ﷺ وتزوجها لحمايتها والحفاظ عليها ، وهى أرملة مسنة قد بلغت الخامسة والخمسين من العمر.

فهل تعد حماية أرملة مسنة مات عائلها ، وهى بين أمرين أحلاهما مر البقاء بالمدينة وحيدة لا عائل لها ، أو العودة إلى مكة فتفتن عن دينها، فهل يعد هذا ولعاً بالنساء؟!!

٣ - السيدة / عائشة بنت أبى بكر الصديق (رضى الله عنها):

تزوجها رسول الله ﷺ رغم صغر سنها لتوطيد العلاقة المميزة بينه وبين أبيها أبى بكر الصديق ، وزيره الأول، وصاحبه المخلص، ولم يدخل ببكر سواها.

وليس بمقبول عقلاً ، ولا بمعقول منطقاً أن يكون الرسول ﷺ قد تزوجها - وهى فى هذه السن المبكرة - لمجرد ما يرغبه الرجل فى المرأة نظراً للتفاوت الكبير فى السن بينهما، ولبلوغه حين الدخول بها سن الخامسة والخمسين من عمره.

وأما ما ثبت من حبه ﷺ لها فإنما هو كما نشأ بعد الدخول بها، وبعد أن أصبحت (رضى الله عنها) زوجة له، وهذا لا ضير فيه، ولا شبهة حوله؛ فلا بأس على رجل يحب زوجته ما دامت زوجة له؛ فهذا النوع من الحب هو نتاج عاطفة سوية مستقيمة، ونظرة عفيفة شريفة مهذبة أبان عنها القرآن الكريم حين قال: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[1].

وقد ثار جدل طويل تولى كبره المستشرقون حول زواج الرسول ﷺ من عائشة (رضى الله عنها) فزعم بعضهم أن هذا الزواج انتهاك لحرمة الطفولة ، وعبث واضح من رجل كبير بطفلة صغيرة لا تعرف شيئاً من مآرب الرجال[*].

١- سورة الروم : ٢١ .

*- لقد تحدثت كتب السير والملاحم أن رسول الله ﷺ خطبها وهى بنت الست سنوات ، ودخل بها وهى بنت التسع سنوات وأن هذا الزواج تم فى السنة الثانية من الهجرة أى وعمره خمساً وخمسين سنة .

وفى هذا الزعم تجن على الحق لهذه الأسباب :

الأول :

أن فى تحديد سن عائشة (رضى الله عنها) حين دخول الرسول ﷺ بها وهى بنت تسع سنوات نظر بل إنه غير مسلم به.

فقد قال بعض كتاب السير ما نصه:

" .... على أن تحديد السن بالتاسعة عند الدخول بها غير مسلم وغير دقيق؛ فقد كانت عائشة مخطوبة قبل خطبة الرسول ﷺ لها لجبر بن المطعم بن عدى فلما فسخت الخطبة عقد عليها الرسول، ولا شك أن تلك الخطبة كانت قبل الهجرة؛ فليس من المعقول أن يقبلها ، أبو بكر من رجل مشرك، وعلى هذا يكون زواج الرسول بها فى المدينة بعد ما تجاوزت الرابعة عشرة قطعاً، ويؤيد هذا ترشيح 'خولة بن حكيم' لها ليتزوجها الرسول بعد خديجة (رضى الله عنها) مباشرة ، ولا شك أنها لو لم تكن صالحة للزواج فى هذه الفترة لما ذكرتها خولة للرسول... "[1].

ثانياً :

أن مثيرى هذه الشبهة قد وزنوا هذا الزواج بميزان العصر الحاضر، وفصلوه عن مكانه، وتصوروه بعيداً عن بيئته.

فتجاهلوا - تماماً - ميزان عصره الذى يراه معتدلاً تمام الاعتدال، وظروف بيئته التى تنشأ الفتاة فيها - وهى فى سن العاشرة كاملة الأنوثة فى بدنها تحن إلى الرجال، وتطيق الزواج.

١- محاضرات فى السيرة النبوية - للدكتور/ عبدالمقصود نصار ، والدكتور/ عبدالعظيم خطاب ص ١٤٣ .

ثالثا :

أنه لو اعترت هذا الزواج أثارة من شك، أو حامت في سمائه الصافية ذرة من شبهة ما سكت عنه خصوم الإسلام - آنذاك - من يهود ووثنيين، وهم الذين عملوا جاهدين على إثارة الشبهات الزاهقة والباطلة حول الدعوة والداعي إليها، فسكوتهم - إذن - عن زواج الرسول ﷺ من عائشة (رضى الله عنها) طبيعي مألوف فشبهة المستشرقين حوله زاهقة.

بقى علينا أن نؤكد أن هذا الزواج كان تأكيد لرابطة الدين التي وطدها الحب في الله، فلم يكن - قط رغبة جسدية.

٤ - السيدة / حفصة بنت عمر:

كانت (رضى الله عنها) زوجة "لخنيس بن حذاقة الأنصارى" وقيل "لحصين بن حذاقة الأنصارى" الذى استشهد يوم بدر بعد أن أبلى بلاء حسناً، وبعد تأيمها عرضها عمر رضي الله عنه على أبى بكر ثم عثمان (رضى الله عنهما)، فأما أبو بكر فلم يجب عمر، وأما عثمان فقد قال له: بدا لى ألا أتزوج فى عامى هذا فكان عمر أوجد على أبى بكر من عثمان، فما لبث رسول الله ﷺ أن خطبها، ثم تزوجها، فأخبر أبو بكر عمر بأنه سمع رسول الله يذكرها فخشى أن يخطبها فيخطب على خطبة رسول الله، وخشى أن يذكر لعمر ذكر رسول الله لها مخافة عدول رسول الله ﷺ عن ما ذكره له فصمت، أما عثمان فقد قال فيه رسول الله ﷺ: (يتزوج حفصة من هو خير من عثمان، ويتزوج عثمان من هى خير من حفصة): فأما حفصة فقد

تزوجت برسول الله، وأما عثمان فقد تزوج بعد وفاة رقية بأم كلثوم وهما بنتا رسول الله ﷺ.

فكان زواج رسول الله من حفصة تكريماً لعمر ومكافأة له كما كافأ قبله أبا بكر، ولم يكن لرغبة فى حفصة على الإطلاق، كما ذكر ذلك عمر أبوها ﷺ حين علم أنها تؤذى رسول الله ﷺ فقال لها: يا حفصة أقد بلغ من شأنك أنك تؤذى رسول الله ﷺ والله لقد علمت أن رسول الله لا يحبك ولولا أنا لطلقك رسول الله ﷺ .

٥ - السيدة / زينب بنت خزيمة (رضى الله عنها).

هى أرملة أبى عبيدة بن الحارث الذى استشهد يوم بدر، وقيل إنه من شهداء أحد.

استشهد زوجها وهى تقوم بواجبها فى الجهاد فتداوى الجرحى، وتزفر القرب، فلم يشغلها استشهاد زوجها عن النهوض بواجبها فتزوجها رسول الله ﷺ بصبرها وثباتها ورجاحة إيمانها وإنما عرفت بحسن خلقها وإحسانها حتى لقبت بأم المساكين وكانت مسنة توفيت بعد زواج الرسول منها بسنتين وقيل بثمانية أشهر وهى الزوجة الثانية التى توفيت فى حياة النبى بعد خديجة ومات ﷺ عن تسع.

-حكمة هذا الزواج فى :

أ - إعالة من فقدن عائلهن فى الجهاد .

ب - مكافأة هذه السيدة المكرمة ، على جهادها وعلى ثباتها وعلى صبرها على فراق زوجها الشهيد.

جـ - دعوة المسلمين إلى التأسى برسول الله ﷺ فى الزواج من أمثالها ممن فقدن عائلهن فى الجهاد من باب التكافل الاجتماعى.

٦ - السيدة / زينب بن جحش الأسدية (رضى الله عنها).

هى بنت عمة رسول الله ﷺ : أسدية ، وحفيدة عبدالمطلب جد الرسول: كان الرسول وليها فجاء "زيد بن حارثة" مولاه ومتبناه وحبه فعرض الرسول الأمر على زينب فأبت وأبى أخوها: عبدالله فنزل قول الله (تعالى) بنهاهما عن ذلك: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلاَ مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ..... ﴾ . فقبلت طاعة منها لله ولرسوله فلم يكن قبولاً عن رغبة شخصية فى الزواج من زيد ولكن بعداً عن معصية الله (تعالى) ، ولذلك لم تحسن معاشرته حين تزوجته فشكاها لرسول الله ﷺ وأبدى رغبته فى طلاقها فقال له الرسول ما يحكه القرآن الكريم ﴿ ... أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ ...﴾ لكنها (رضى الله عنها) عادت إلى سالف عهدها معه فأساءت معاملته فطلقها زيد، فزوجها الله (تعالى) لرسوله محمداً ﷺ فكانت من أمهات المؤمنين (رضى الله عنها).

لكن المستشرقين نسجوا حول هذا الزواج من الأباطيل ما ظنوه سينال من رسالة محمد ﷺ فزعموا - باطلاً - أن الرسول ذهب إلى بيت زيد وهو غائب فرآى زوجته زينب فى ثياب بيتها فأعجبته بل وقع حبها فى قلبه فقال: (سبحان مقلب القلوب) وكانت (رضى الله عنها) قد عرضت عليه الزواج منها فردها عنه رداً

رقيقاً ولم يتزوجها. فلما جاء زيد ﷺ قصت عليه ما كان من قول رسول الله بشأنها ، فأحس زيد رغبة الرسول في زواجها فهم بتطليقها وعرض رغبته على الرسول فقال له ﴿ .... أمسك عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ ﴾ وقالوا فى قوله (تعالى) : ﴿ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ ...... ﴾ أنه كان يخفى فى نفسه حب زينب ، ورغبته فى الزواج منها.

وخلاصة القول: أن بعض المستشرقين الحاقدين على الإسلام يرون أن رسول اللهﷺ كان رجلاً شهوانياً تذوب شخصيته فى مخادع النساء، ولهذا أكثر من الزوجات وحجر أمته على أربع نساء كحد أعلى بشروط معينة وأباح لنفسه أكثر من ذلك ، ولم يكتف بهذا بل عمل على فسخ زوجة ابنه ومولاه ليتزوجها لأنها بيضاء وجميلة.

- يقول غوستاف لوبون:

"وضعف محمد الوحيد هو حبه الطارى للنساء ... وأطلق محمد العنان لهذا الحب حتى إن رأى اتفاقاً زوجة ابنه المتبنى - وهى عارية فوقع فى قلبه منها شئ فسرحها بعلها ليتزوجها محمد"[1].

هذا ويمكننا أن نجمل شبهات المستشرقين حول زواج النبىﷺ زينب بن جحش ، ثم نردف العرض بالرد قبل بيان الحكم المودعة فى هذا الزواج.

---

١ - حضارة العرب: لغوستاف لوبون - ترجمة عادل زعيتر ص ١١٢ .

-الشبهة الأولى وردها:

قالوا إنه تزوج حليلة ابنه مع نهيه عن التزوج بحلائل الأبناء، كما وردت بذلك آية التحريم فى سورة النساء التى حرمت حلائل الأبناء[١]. وترد هذه الشبهة.

أ - أن صاحب الرسالة ﷺ هو أول المطبقين لشرعة الله - التى حملها إلى الأمة - على نفسه، فمحال على الرسول أن يأمر ولا يأتمر فالرسول قدوة فى التطبيق، ومأتم للمطبقين لوحى الله الذى حمله إليهم لأن الرسالة فى الإسلام قدوة وليست وظيفة كما كان ويكون عليه اليهود.

إذن فمن المحال أن يكون الرسول قد حرم الزواج بحلائل الأبناء، ثم تزوج حليلة ابنه!! إنه لاشتباه مضحك بل مذهل.

ب - أن فعل الرسول ﷺ أصل من أصول التشريع فهو من السنة التى يعرفها فقهاؤها بأنها "قول أو فعل أو تقرير أو صفة" لقوله ﷺ: "ألا إنى أوتيت القرآن ومثله معه ...... "[٢].

إذن فإقدام الرسول ﷺ على الزواج بزينب مطلقة زيد بن حارثة متبناه يعنى الحل.

جـ - أن التحريم منصب على أبناء الصلب ليس على المتبنين.

قال تعالى: ﴿... وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ...﴾[٣].

---

١ - سورة النساء : ٢٣ .

٢ - رواه

٣ - سورة النساء : ٢٣ .

وزيد بن حارثة رضي الله عنه متبنى رسول الله وليس ولده لقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ... ﴾[١].

ولقوله تعالى: ﴿ . . . وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ . . . ﴾[٢].

إن صراحة النص وتصريحه فى تحديد الأصلاب تزهق هذه الشبهة؛ فالتحريم مسلط على الأبناء الحقيقيين ، وزيد بن حارثة ليس منهم.

-الشبهة الثانية ، وردها :

قالوا إن هذا الزواج كان ثمرة للحب الذى وقع فى قلبه ﷺ حين رآها فى بيت زيد الغائب عنه، وقد أعجب بها، بل إنه لم يستطع أن يخفى هذا الإعجاب فقال: (سبحان مقلب القلوب). وترد هذه الشبهة من وجه:

الأول :

ضعف هذه الرواية التى حملت هذه الشبهة التى أشار إليها المستشرقون، وإسقاطها، واعتبارها من الإسرائيليات التى اندست بخبث فى ثنايا كتب السنة والتفسير، وبالتالى فلا معنى للاستشهاد بها.

الثانى :

إن كف البصر إلى المحارم عادة عربية عتيقة وأصيلة جرت فى عروق العرب مذ كان لهم وجود بجزيرتهم الشماء وهذا شاعرهم الجاهلى يقول:

---

١ – سورة الأحزاب : ٤٠ .

٢ – سورة الأحزاب : ٤ .

وأغض طرفي إن بدت لي جارتي ∴ حتى يواري جارتي مأواها(*)

فهل خالف الرسول ﷺ عادة قومه الشريفة ، وما ألفوه فجرى في عروقهم وأجسامهم وتربوا عليه كالماء والهواء – وهو من أعلا العرب خلقاً وأشرفهم نسباً بل ومن أحرصهم على إلفهم الشريف كغض الطرف على المحارم.

الثالث :

من العادات العربية المعمول بها أن تتوارى المرأة في خبائها فلا تبدو للرجال الأجانب فإن طرق بابها طارق خاطبته من وراء حجاب، فكيف بدت زينب للرسول سافرة في ثياب بيتها فوقع بصره على جسدها؟!!

الرابع :

كيف اقتحم الرسول بيت زيد وهو غائب وتجول فيه حتى وصل إلى خباء سيدته الحرة الشريفة فرآها في ثياب غير سابغة والقرآن الكريم يؤدبنا بهذه الآية الكريمة ، والرسول حاملها إلينا ومؤدبنا بها.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا..... ﴾ ؟!

وتعبير القرآن الكريم بتستأنسوا بدل تستأذنوا بيان لإذن بأنس: أي أن تدركوا رضا من تدخلون عليهم بدخولكم وفرحهم بقدومكم، وأنسهم بكم لا مجرد الإذن .

---

* – البيت من قصيدة طويلة لعنترة بن شداد العبسي وهو شاعر عربي عاش في الجاهلية قبل البعثة.

فكيف وصل الرسول ﷺ دون مجرد الإذن إلى خباء زينب فرآها؟! إذن فهذه الشبهة ساقطة واهية.

-والشبهة الثالثة ، وردها:

أن الله (تعالى) قد نبه إلى العلاقة القلبية بين الرسول ﷺ والسيدة زينب، وعاتب الرسول على كتمانها؛ فحين جاءه زيد شاكياً زوجته لسوء معاملتها له، وراغباً فى طلاقها قال له ﴿ ... أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ ...﴾ فقد عاتبه تعالى بقوله: ﴿...وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ ...﴾ فقد زعموا - باطلاً أن ما أخفاه الرسول ﷺ هو حب زينب، ورغبة الرسول ﷺ فى طلاقها ليتزوجها.

وترد هذه الشبهة من وجوه :

<u>الوجه الأول :</u>

أن توجيه الآية بهذا المعنى الذى اشتبه فيه المستشرقون لَيَ عجيب لمعناها، وتحميلها بما لا تحتمل، والتفسير الصحيح للآية هو:

وإذ تقول يا محمد لزيد بن حارثة الذى أنعم الله عليه بالإسلام، وأنعمت عليه بالعتق والتربية والتبنى والعطف حينما جاءك شاكياً زوجته، يستشيرك فى طلاقها فقلت له ﴿...أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ ... ﴾ فلا تطلقها ﴿ ... وَاتَّقِ اللَّهَ ... ﴾ فلا تنال منها بأنها تؤذيك بلسانها، وتسئ عشرتك الزوجية ﴿ ...وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ...﴾ وما عرفك الله به من أن زيداً سيطلقها، وأنك ستتزوجها بعده هدماً لعادة باطلة، ظاهرة فاسدة شاعت بين

الجاهليين وفى صدر الإسلام من معاملة المتبنى معاملة ولد الصلب، وتحريم الزواج بحليلته بعد طلاقها: ﴿ ...لِكَيْ لاَ يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا...﴾ حتى ولو كان دافعك إلى الإخفاء خلقاً شرف بك، وتسربلت به وهو حياؤك من زيد، ومراعاتك لشعوره، ومع إيمانك التام بأن الله سيبدى ما أخفيت، وأنه واقع لا محالة.

﴿ ... وَتَخْشَى النَّاسَ ... ﴾ أن يقولوا تزوج محمد حليلة ابنه ﴿ ... وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ ... ﴾ لأنه الله رب كل شئ ومليكه وهذا أمره، وذاك قضاؤه الذى لا مرد له.

إنك يا محمد بصدد أمر الله (تعالى) لك لهدم باطل شاع بين قومك وآثاره سلبية، وإلغاؤه واجب تحتمه ضرورة إصلاح الأمة على يديك وبشرع الله إليك، ولإقامة العلاقات الأسرية على أسس صحيحة ثابتة تتحطم على صخرتها الشامخة موروثات الجاهلية البائدة البالية، وتنهض بها المجتمعات وينبه ذكرها.

هذا هو الفهم الصحيح لهذه الآية ، وهو يتنافى تماماً مع ما زعمه المستشرقون.

-الوجه الثاني :

أن الذى أبداه الله (تعالى) فى مسألتنا هذه هو ﴿ ... فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا...﴾ أى طلاق زيد لزينب وتزويج الله (تعالى) إياها للرسول فهل فى هذا ما يتنافى مع عصمة الرسول

حتى يخشى الرسول الناس فى الإعلان عنه؟!! وإذا لم يكن خطـــأ فلم أخفاه الرسول؟!

لعله إخفاء الرسول له راجع إلى :

أ - حياء الرسول ﷺ الذى يصفه أصحابه به حيـن يقـول قائلـهم: إنهﷺ كان أشد حياء من العذراء فى خدرها.

ب - أن الحادثة وقعت فى مواجهة زيد ﷺ حين جـاءه عـارض طلاقها.

جـ - أنها كانت لا تزال فى عصمته فى عصمة زيـد (رضـى الله عنهما) فغير جائز - لا عقلاً ولا خلقاً - أن يقول الرسول ﷺ لرجـل من أمته بل من صحابته بل حبه إن الله (تعالى) قضـى أن تطلـق زوجتك، وأن أتزوجها.

د - أيهما أفضل: سكوت الرسول ﷺ عن إعلام زيد بما قضـاه الله (تعالى) فى مسألتنا هذه، أم إعلامه به؟

الذى لا شك فيه أن السكوت أفضل من التصريح فى مسـألتنا هذه، على أنه ﷺ لو صرح بما أخفاه ما سكت عنه شـانئوه وعلـى رأسهم المستشرقون الذين يحاولون - بكل سـفه - إلصـاق التـهم بالإسلام ونبيه محمد ﷺ ، وصدق الله العظيـم إذ يقـول مخاطبـاً رسوله: ﴿ وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَـهُودُ وَلاَ النَّصَـارَى حَتَّـى تَتَّبِـعَ مِلَّتَهُمْ... ﴾[1].

---

١ - سورة البقرة : ١٢٠ .

هـ - أن الرسول ﷺ أراد أن يختبره فيما لم يعلمه الله (تعالى) بـه من رغبة فيها، أو رغبته عنها، فأبدى له ﷺ رغبته عنها.

فإن قيل: فلم قال له الرسول بعد علمه بالنفرة منها، والرغبة عنها ﴿ ... أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ ... ﴾ ومع تأكده من أن الفرقة واقعة، بينهما لا محالة؟ أليس في هذا تناقض؟!

قلنا: لا تناقض متى كان الأمر لإقامة الحجة، ومعرفة العاقبة؛ فالله (تعالى) يأمر الكافر بالإيمان، ولم يأمره بالكفر - قط - وقد سبق في علمه الأزلي أنه لن يؤمن أبداً وما علمه الله لن يتخلف؛ إذ ليس في مخالفة متعلق الأمر لمتعلق العلم ما يمنع من الأمر.

-الوجه الثالث:

لو سلمنا جدلاً أن الذي كان يخفيه البني ﷺ في نفسه هو الميل القلبي لزينب التي هفت نفسه إليها، وأنه خشي الإعلان عن ذلك مخافة الناس - كما افترى المستشرقون - فهل يؤخذ هذا على رسول الله؟

هل التصريح بحب امرأة متزوجة، والإعلام عن الميل القلبي إليها، والتشهير بها محمدة يمدح عليها صاحبها، وكف اللسان وعفافه عن تناول مسلمة حرة قرشية شريفة محصنة مذمة يلام عليها فاعلها؟!!

ألا رحم الله أبا العلاء حين يقول:

إذا وصف الطائي بالبخل ما در ∴ وعير قساً بالفهاهة باقل

وقال والسها للشمس أنت خفية ∴ وقال الدجا يا صبح لونك حائل

وطاولت الأرض السماء سفاهة .·. وفاخرت الشهب الحصى والجنادل

فيا موت زر إن الحياة ذميمة .·. ويا نفس جدى إن دهـرك هـازل

ثم هب أن الواقعة المفتراه على رسول الله ﷺ من دخولـه بيت زيد فى غيبته عنه، ورؤية زينب فى ثياب بيتها، وإعجابه بـها، وميله النفسى إليها - وهذا محال لما أبديناه سـلفاً - هـب أن هـذه الأكذوبة كانت واقعاً، وسلمنا بذلك جدلاً، ألا يكفينـا قـول رسـول الله ﷺ - (سبحان مقلب القلوب) فيذكر فى موقف ينسى فيه ذكر الله، وتنسى الغرائز فى وقت تثار فيه الغرائز؟!

إنه ﷺ إنسان مصطفى أمره مرسله أن يعلن عـن بشـريته ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ...... ﴾ [1]. والطبيعة البشرية تقود حتماً إلى ميل الإنسان إلى جنسه الآخر، لكنه ﷺ بشر يوحـى إليـه فحيـن اتجهت إليه بشريته زجرتها عصمته فنسى الميل النفسى وذكر الله.

ولكن إذا كان الأمر كذلك فلم قال (تعالى) : ﴿... وَتَخْشَـى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ...﴾؟.

ويجاب بأن المراد من الخشية من الناس ليس الخـوف مـن الناس كما زعم المستشرقون وإنما:

- الاستحياء من الناس.

- الخشية على الناس أن يقعوا فى عرضه فيقولـوا تـزوج محمد حليلة متبناه فينالوا منه فيهلكوا.

١- سورة فصلت: ٦ .

- أنه يلبس عليهم فيرون الباطل حقاً، والرسول ﷺ كان حريصاً على هداية المؤمنين، يعز عليه فتنتهم، قال (تعالى): مخاطباً رسوله: ﴿لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلاَّ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾[١].

وخلاصة القول فى هذا الوجه هو ما قاله الإمام ابن حزم (رحمه الله)[٢]: "وأما قوله (تعالى):

﴿... وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ...﴾ فقد أنفنا من ذلك؛ إذ لم تكن فيه معصية أصلاً، ولا خلاف فيما أمره الله به، وأن ما كان أراده زواج مباح له فعله ومباح له تركه، ومباح له طيه ومباح له إظهاره، وإنما خشى النبى ﷺ فى ذلك خوف أن يقولوا قولاً ، ويظنوا ظناً فيهلكوا كما قال عليه السلام للأنصارى: إنها صفية؛ فاستعظما ذلك؛ فأخبرهما النبى ﷺ أنه إنما خشى أن يلقى الشيطان فى قلوبهما شيئاً، وهذا الذى خشيه عليه السلام على الناس من هلاك أو يأتيهم بظن يظنونه به عليه السلام هو الذى يحققه هؤلاء المخذلون المخالفون لنا فى هذا الباب من نسبتهم إليه ﷺ تعمد المعاصى... وكان مراد الله عز وجل أن يبدى ما فى نفسه لما سلف فى علمه من السعادة لأمنا : زينب (رضى الله عنها).

الوجه الرابع:

أن الله (تعالى) قال بشأن هذه الواقعة:

---

١ سورة الشعراء : ٣ .

٢ - الفصل فى الملل والأهواء والنحل - لابن حزم جـ٤ صـ٢٣ .

﴿مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ...﴾[1].

وفى هذا ما يدل على نفى ما ادعاه المستشرقون من وقوع زينب فى قلب رسول الله ﷺ وحبه لها، ورغبته فى طلاق زيد لها ليتزوجها؛ ففى هذا حرج لا يعدله حرج فتمنى امرأة متزوجة، ورغبته فيها وهى حرم غيره فيه من الجرم ما يرفعه إلى ما هو أعلى من الحرج؛ فنفى القرآن الكريم للحرج فى مسألتنا هذه نفى لروايتهم الباطلة عنها.

كما أن تعبير الآية بـ ﴿... فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ...﴾ بيان لا يعدله بيان على أن زواج الرسول من زينب كان تشريعاً وفرضاً ما يجوز للرسول التخلى عن إتيانه، وبالتالى فهو نقض لرواية المستشرقين الزائفة عن زواجه ﷺ من زينب (رضى الله عنها).

-الوجه الخامس:

قولهم الماجن إنه عليه السلام رآها بعد زواجها من زيد فأعجب بها مرفوض شكلاً وموضوعاً لما يلى:

أ - أن زينب (رضى الله عنها) ليست غريبة عن رسول الله ﷺ، ولا بعيدة عنه؛ فقد ربيت تحت سمعه وبصره، وشملتها عنايته؛ فلم تكن رؤيته لها هذه التى يزعمها المستشرقون هى الأولى فتقع فى قلبه كما يصور الاشتباه.

ب - أنه اختارها لمولاه ومتبناه: زيد بن حارثة رغم رفضها ورفض أخيها فلو كان الأمر كما يدعى المستشرقون فلم زوجها له؟!!

١- سورة الأحزاب : ٣٨ .

جـ - أن البكر فى روائها ونضرتها ووضاءتها أفضل بكثير منها ثيباً من حيث الرغبة فيها كجسد فكيف لا يتعلق بها الرسول وهى بكراً وضيئة ، ثم يتمناها ثيباً؟!

وهذا هو ما أشار إليه الإمام : محمد عبده (رحمه الله)[1]:

ولو كان للجمال سلطان على قلبه ﷺ لكان أقوى سلطان عليه جمال البكر فى روائه، ونضرته: وقد كان يراها ، ولم يكن بينه وبينها حجاب، ولا يخفى عليه شئ من محاسنها الظاهرة؛ ولكن لم يرغبها لنفسه، ورغبها لمولاه؛ فكيف يمتد نظره إليها، ويصيب قلبه سهم حبها بعد أن صارت زوجة لعبد من عبيده أنعم عليه بالعتق والحرية.

-الوجه السادس:

أنه (تعالى) كان يحاسب نبيه ﷺ على مخالفة الأولى من باب حسنات الأبرار سيئات المقربين، وآية ذلك:

-عتابه على محاولة إرضاء زوجاته بتنازله عن بعض ما أحل الله له، وتعبير القرآن الكريم عن هذا التنازل لإرضاء بعض الزوجات بالتحريم مع أنه محمود فى حق عامة الأمة لما فيه من تماسك الأسرة قال (تعالى):

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاةَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾[2].

---

١ - انظر تفسير سورة الفاتحة - للإمام محمد عبده ص ١٩٣ .

٢ - سورة التحريم : ١ ، نذكر القصة نقلاً عن ابن كثير فى الحشية .

بل سميت السورة بسورة التحريم، مع استحالة أن يكون التحريم هنا اعتقاد الحرمة؛ فالرسول ﷺ لا يعتقد ما يخالف شريعة الله ووحيه إليه ، وإنما المراد بالتحريم هنا الامتناع.

-عتابه الرسول حين أعرض عن ابن أم مكتوم مع أن المصلحة كانت تقتضى أن يستمر الرسول فى محاورته لهذا القريشى الوثنى الذى أوشكت حجة الحق أن تصرع باطله، والدعوة كانت بحاجة إلى مثله، فالإسلام كان بحاجة إليه وإلى سيفه ودرهمه.

لكن برغم أن الوثنى كان صاحب الكلمة، وبالرغم من أن إسلامه هداية ضال من أجلها نشر الإسلام دعوته، وبالرغم من أن إسلامه إسلام لعدد وفير من الأتباع، وقوة مالية وعسكرية الإسلام بحاجة إليها، إلا أن القرآن الكريم عاتب الرسول على مواصلة الحوار مع الوثنى وترك ابن أم مكتوم عتاباً شديد اللهجة قال (تعالى):

﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّى (١) أَنْ جَاءَهُ الأَعْمَى (٢) وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى (٣) أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى (٤) أَمَّا مَنْ اسْتَغْنَى (٥) فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى (٦) وَمَا عَلَيْكَ أَلاَّ يَزَّكَّى (٧) وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى (٨) وَهُوَ يَخْشَى (٩) فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى (١٠) كَلاَّ.... ﴾[1].

وتتمثل لهجة العتاب فى:

-خطابه بضمير الغائب ؛ فقد كان مقتضى السياق أن يقول له عبست وتوليت - بضمير المخاطب فالحديث لرسول الله لكنه

---

١ - سورة عبس : من ١ : ١٠ .

خاطبه بضمير الغائب ليقول له إنك - فى هذه الحادثة - لـــم أنـــت محمد فكأنه يخاطب غيره.

-تعبيره عن ابن أم مكتوم بالأعمى الأمر الذى يبيح عذره.

-فى المداخلة :

-تصوير القرآن الكريم لحالة الرجلين: فالعتل الوثنى مستغن بماله وجاهه عن الإسلام، وابن أم مكتوم ﷺ يخشى الله أو يخشـــى الكبوه وقد جاء يتحسس الطريق بعكازته يدفعه شوقه إلـــى رســـول الله ﷺ .

-دقة وصف موقف الرسول ﷺ مع كلا الرجليـــن: وهـــى التصدى مع الوثنى المتكبر، والعبوس والتولى مـــع المســـلم الفقـــير الكفيف.

لذلك كان الرسول ﷺ إذا التقى بابن أم مكتوم ﷺ قال له: (مرحبـــاً بمن عاتبنى فيه ربى).

مع أن هذه الواقعة لو تأت من أحدنا ما كـــان هنـــاك وجـــه لعتابه عليها.

-الشبهة الرابعة :

دعوى المستشرقين الزائفة أنه ﷺ رجل عشق النساء دخـــل بعدد وفير منهن: عادل ثلاث أضعاف ما أباح لعامـــة أمتـــه، وأنـــه قضى حياته راغباً فى متع الحياة منكباً عليها.

وترد هذه الشبهة من وجوه:

-الوجه الأول:

أن المتأمل فى افتراء المستشرقين على زواج رسول الله ﷺ يدرك للوهلة الأولى خبث طويتهم، وحقدهم الواضح على رجل من بنى إسماعيل اجتباه ربه واصطفاه، وكلفه بالسفارة بينه وبين خلقه فنسجوا حوله وحول رسالته الكثير من الأضاليل، ولكن هناك لفيف من المستشرقين استحى من كثرة الكذب على رسول الله ﷺ فقالوا كلمة الحق فى مسألتنا هذه، وكانوا عقلاء فى منهجهم ضد الإسلام فرأوا أن الطعن فى رسول الله ﷺ فى مسألتنا هذه يفضح طويتهم فى كل ما يكتبون عن الإسلام، ورسوله، وما يريدون ذلك؛ فقالوا الحق فى مسألتنا هذه فكانت أقوالهم أصدق شاهد على براءة الرسول مما افتراه غيرهم من بنى جلدتهم من المستشرقين.

نذكر من هؤلاء :

-"توماس كارليل" الذى يقول:

"وما كان محمد أخا شهوات برغم ما اتهم به ظلماً وعدواناً ، وشد ما نجور ونخطئ إذا حسبناه رجل شهوات لا هم له إلا قضاء مآربه من الملاذ، كلا فما أبعد ما كان بينه وبين الملاذ أياً كانت.

لقد كان زاهداً متقشفاً فى مسكنه ومأكله ومشربه وملبسه، وسائر أموره وأحواله، وكان طعامه عادة الخبز والماء، وربما تتابعت الشهور ولم يوقد بداره نار، وإنهم ليذكرون - ونعم ما يذكرون - بأنه كان يصلح، ويرفأ ثوبه بيده ، فهل يعد ذلك مكرمة ومعجزة، فحبذا محمد من رجل خشن اللباس خشن الطعام مجتهد فى طاعة الله، قائم النهار، ساهر الليل دائباً فى نشر دين الله ...الخ"[١].

---

١ - الأبطال - لتوماس كارليل ص ٨٣ .

-ويقول "مونتجمرى وات":

" .... وبالرغم من أن الكتاب المسلمين رووا فيما بعد قصصاً ممتعة حول حساسية محمد أمام سحر النساء، وبالرغم من أنه ليس لدينا أى سبب للافتراض بأنه كان يهمل تماماً تأثير الجاذبية الجسدية فإنه من الأكيد أنه كان يسيطر تماماً على عواطفه أمام الجنس اللطيف[1] وأنه لم يكن يتزوج إلا إذا كان هذا الزواج مستحسناً سياسياً واجتماعياً".

-ويشير "ول ديورانت" إلى رفض هذه الشبهة[2]:

فحياة الرسول ﷺ قبل البعثة، وقبل حمل أعباء الرسالة خير شاهد على عفة ضميره، وطهارة نفسه، مع أنه فى عهد الصبا والشباب حيث يشتد سلطان الشهوة ويبلغ غايته فى الاستبداد والتحكم فى كيان الإنسان، ولكن المحفوظ من سيرة نبى الإسلام أنه تزوج بالسيدة خديجة (رضى الله عنها) وهو فى الخامسة والعشرين من العمر وكانت - هى - فى سن الأربعين، وظل معها وحدها لا يضم إليها أخرى حتى تجاوزت السيدة الفضلى الخامسة والستين وتوفيت وهو فوق الخمسين.

ولم يجرؤ أحد من أشد خصومه لدداً أن ينسب إليه دنساً أو يتهمه بريبة فى هذه الفترة الحصبة الرحبة من عمر الإنسان بل كان رونق العفاف والشرف يتألق فى جبينه حيث سار، ولو أنه أحب التزوج بأخرى ما عاقه مانع من شرع أو عقل أو عادة ؛ فإن التعدد كان موجوداً عند العرب مألوفاً فى مجتمعاتهم، معروفاً فى ديانة إبراهيم جد الأنبياء: عرب وعجم.

---

١ - محمد فى المدينة - لمونتجمرى وات ص ٥٠٦ .

٢ - انظر " قصة الحضارة " لول ديورانت م ٢ جـ٤ ص٦٤ .

-**الوجه الثانى :**

أن البحث عن الجمال فى مظانه لم يكن الباعث على اختيار زوجاته وطالب المتعة والمدفوع بالشهوة لا يرى لتمتعه سبيلاً إلا الوضاءة والجمال الأمر الذى يترتب عليه بطلان هذه الشبهة.

وآية ذلك أنه بعد موت خديجة (رضى الله عنها) لم يكن باعثه الأول على الزواج إلا الارتباط بالرجال الذين آزروا الدعوة ونصروا الإسلام، وأعانوه على نشر دعوته؛ فاختار عائشة بنت أبى بكر وحفصة بنت عمر، وأم سلمة أرملة قائده الذى استشهد فى سبيل الله، وعانت امرأته ما عانت فى الهجرة إلى الحبشة، وفى الهجرة إلى المدينة، ومن قبل هؤلاء كانت معه السيدة/ سودة ؛ وهى امرأة نزلت عن حظها من الرجال لكبر سنها.

فأى متعة هنا فى زواج هذا شأنه.

-**الوجه الثالث :**

إن حملة الرسالات الدنيوية تشغلهم أثقالها عن الكثير من متع الحياة، فما بالنا برجل حمل الرسالة الإلهية والدنيوية معاً وقال له ربه منذ فجر الدعوة:

﴿ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً ﴾[١] بعد أن أمره بقوله ﴿ قُمِ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾[٢].

---

١ – سورة المزمل : ٥ .

٢ – سورة المزمل : ٢ .

إن المتعة فى حياة النبى لم تكن غاية يسعى لها ﷺ وهو الذى لم يسترح يوماً من عناء الكفاح الموصول والجهاد والمتواصل، ثم ما مكانها فى حياته شيخاً وقد عزف عنها شاباً؟! .

وما موقعها فى ساحة مشاغله وانشغالاته وأعبائه وهمومه المختلفة العامة منها والخاصة مثل إقام الصلاة من الفجر إلى العشاء، وتعليم القرآن الكريم، وتوزيع الصدقات العامة، والفصل فى المنازعات، ومقابلة الوفود، ومراسلة الملوك والحكام، وقيادة المعارك العسكرية، وسن التشريع، وتأسيس الدولة، وباختصار العناية بكل شئ وبكل الناس، فإذا ما جن الليل قضاه راكعاً أو ساجداً أو قائماً أو مرتلاً للقرآن الكريم.

وهذا نداء ربه له ، وأمره إياه :

﴿ ... قُمْ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلاً (٢) نِصْفَهُ أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً (٣) أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلْ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً ﴾[١].

فماذا بقى للنساء فى حياته ﷺ؟!!

ولكن لا يفهم من هذا أن الرسول ﷺ لم يكن قادراً على معاشرة النساء؛ فإنه الله (تعالى) قد منحه القوتين! الجسدية والروحية فحفظ توازنه: فلم تقصر قوته الجسدية عن أداء وظيفتها فى إعفاف زوجاته، وفى استجابتها لمطالبهن الدنيوية؛ فالقدرة على معاشرة النساء من كمال الرجولة كما يقول القاضى عياض: "النكاح دليل الكمال وصحة الذكورة"[٢]، بقدر ما لم ينفلت زمامها فتطغى على شقيقتها الروحية.

---

١ - سورة المزمل : ٢ ، ٣ ، ٤ .

٢ - الشفا – للقاضى عياض جـ١ ص ٦٨ .

على أنه ليس فى قضاء الوتر بما أحل الله (تعالى) أى غضاضة أو خدش لكرامة أى من الجانبين، بل إن فى قضائها بما أحل الله وعلى ما شرع أجر ومثوبة؛ فقد قال ﷺ : "...وفى بضع أحدكم صدقة" قالوا: يا رسول الله أيأتى أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟ قال: "أرأيتم لو وضعها فى حرام أكان عليه وزر؟ فذلك إذا وضعها فى الحلال كان له أجر"[١].

ولقد كان ﷺ يملك نفسه تماماً؛ فهو أكمل الرجال وأشرف الرجال وأطهر الرجال وهذه عائشة (رضى الله عنها) تقول عنه وهى أخبر الناس به فى هذا الجانب "...... كان أملككم لإربه".

ولقد عرف ﷺ بزهده فى متع الحياة، فكيف يقال عنه أنه كان رجل شهوات إن واقع حياته التى تحصيها كتب السنة لحظة لحظة شاهد صدق على ذلك.

---

١ - صحيح مسلم جـ٢ كتاب

منشأ شبهة زواج الرسول بزينب

١ ـ أخطاء بعض المفسرين فى تنـــاول بعــض آى القرآن الكريم.

٢ ـ الإسرائيليات التى ابتليت بها كتب التفسير.

٣ ـ استغلال المنصريـــن وبعــض المستشــرقين للإسرائيليات وبعض الروايات الموضوعة والضعيفة فى التراث الإسلامى.

٤ ـ حقد أعداء الإسلام علىَ الإسلام ورسوله.

٥ ـ تهاون المسلمين فى الدفاع عن دينهم.

إن الدارس لما أثاره المستشرقون من شبهات حول الإسلام ورسوله: محمد ﷺ

يدرك أن وراءها أسباباً عدة دفعت هذه الأفواه الآفكة إلى هذه الأكاذيب المفتراة، نذكر منها:

أولاً : أخطاء بعض المفسرين فى تناول بعض آى القرآن الكريم:

لقد نقل بعض المفسرين أخبار عن زواج النبى ﷺ من السيدة زينب بنت جحش (رضى الله عنها) عند تناولهم لقوله (تعالى) ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ ...... ﴾ .

منها ما يتعارض مع القرآن نفسه وهو الذى وصف الرسول بأنه على خلق عظيم، ويتناقض مع منطوق ومفهوم قضية حسمها القرآن الكريم حسماً؛ فقال فى بدايتها: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلاَ مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ...﴾. وقال فى نهايتها: ﴿ ... فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لاَ يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولاً ﴾.

فزواج زينب من زيد كان قضاء مبرماً من الله، وزواجها من رسول الله كان فعلاً لله وأمر الله مفعول.

وما يتنافى مع الواقع. والتاريخ والعقل لمطالع سير الأنبياء والمرسلين فكان هذا الخلط فى الرواية والتخبط فى العرض فى كتب

التفاسير هـو الأسـاس الأول الـذى بنـى عليـه المستشـرقون، والمبشرون شبههم حول الإسلام ورسوله.

وإليكم هذه النماذج مما كتب بعض المفسـرين عـن زواج الرسول من زينب لإبطال عادة التبنى وعند تناولهم للآيـة الكريمـة المشار إليها.

يقول الطبرى (رحمه الله):

". . . وذلك أن زينب بنت جحش فيما ذكر رآهـا رسـول الله ﷺ فأعجبته وهى فى حبال مولاه فألقى فى نفس زيد كراهيتهـا لما علم الله مما وقع فى نفس نبيه ما وقع فأراد فراقها فذكـر ذلـك لرسول الله ﷺ زيد فقال له رسول الله ﷺ : ﴿ ...أَمْسِكْ عَلَيْـكَ زَوْجَكَ...﴾ وهو يحب أن تكون بانت منه لينكحها.

١ - حدثنا بشر قال حدثنا زيد قال حدثنا سعيد عـن قتـادة ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ ...﴾ أعتقه رسول الله ﷺ ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيـهِ ...﴾ قـال كان يخفى ود أنه طلقها.

٢ - حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال ابن زيد [كـان النبى ﷺ قد زوج زيد بن حارثة زينب بنت جحش ابنة عمته فخرج رسول الله يوماً يريده وعلى الباب ستر من شـعر فرفعـت الريـح الستر فانكشفت وهى فى حجرتها حاسرة فوقع إعجابـها فـى قلـب النبى ﷺ فلما وقع ذلك كُرّهت إلى الآخر فجاء فقال: يا رسـول الله إننى أريد أن أفارق صاحبتى، قال: ما لك أرابك منها شئ؟ قـال لا

والله ما رابني منها شئ يا رسول الله، ولا رأيت إلا خيراً فقال رسول الله ﷺ : ﴿ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ ... ﴾ فذلك قوله (تعالى): ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ﴾... وتخفى فى نفسك إن فارقها تزوجتها.

٣ - حدثني خلاد بن أسلم قال حدثنا عينة عن على بن زيد بن جدعان عن على بن الحسين قال: كان الله (تبارك وتعالى) أعلم نبيهﷺ أن زينب ستكون من أزواجه فلما أتاه زيد يشكوها قال اتق الله وأمسك عليك زوجك قال الله : ﴿ ... وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ ﴾. انتهى[1].

والعجيب هنا أن يرد هذا الخلط على قلم رجل هو فى منظورنا عمدة المفسرين والمؤرخين، وأتحفظ فى تراثنا وفى كتب الأئمة الأعلام أمثال: الطبرى وابن سعد، والبغوى والرازى؛ فتقدم هذه الروايات المغلوطة خنجراً مسلولاً إلى أعداء الأمة الذين يتلمسون مثلها لطعن الإسلام ورسوله.

وبالرغم من نقد علماء لهذه الروايات المتهافتة إلا أنها لا تزال حية ترزق محفوظة بين هذه الكتب العمد فى الفكر الإسلامى يتلقفها المنصرون والمستشرقون لحبك المؤامرات ضد الإسلام والكيد له[*].

---

١ - تفسير الطبرى جـ٢٢ مجلد ٢٢ - ٢٥ ص ١٣ .

* - انبرى جماعة من العلماء لرفض هذه الروايات نذكر من ذلك ما أورده أ.د/زاهر عواض الألمعى فى كتابه "مع المفسرين والمستشرقين فى زواج الرسول من زينب بنت جحش" فقد ذكر نقد لرواية الإمام ابن جرير الطبرى قال فيه.

ثانياً : الإسرائيليات التى ابتليت بها كتب التفاسير :

للتفسير مدارس تكون بعضها فى زمن الصحابة والتابعين، وتنوعت بحسب منهجها فى بيان محتوى ما اشتملت عليه آى القرآن الكريم منها:

***-مدرسة التفسير بالمأثور:**

وهى مدرسة راعت ما أثر عن رسول الله ﷺ وصحابته والتابعين فعكفت على ما نسب إلى رسول الله ﷺ وصحابته كعلى وابن عباس وابن مسعود وابن عمر وغيرهم، وما نسب إلى التابعين كمجاهد ومسروق والحسن البصرى وعكرمة مولى ابن عباس وغيرهم وقد عكف على عرض هذه المأثورات جلال الدين السيوطى فى تفسيره: الدر المنثور فى التفسير بالمأثور.

*-مدرسة عكفت على ما فى القرآن الكريم من جوانب اللغة العربية:

*-مدرسة راعت الجانب العقلى فى القرآن، ورجالها هم المتكلمون الذين تبنوا توجيه النص لخدمة مذاهبهم: كالبيضاوى والنسفى والرازى والقاضى عبدالجبار وغيرهم.

*-مدرسة راعت أسباب النزول، والسند، والرواية ورجالها: ابن كثير والشوكانى وغيرهما.

وكانت المدرسة الأولى هى أشد المدارس ابتلاء بالإسرائيليات التى شوهت جمال الحكم المستفادة من التناول والعرض، وأفسدت التأويل والتخريج حين شابتها الأوهام المضللة،

الدرس والدخيل الذى لوى أزمة الحقائق التى حملها القرآن الكريم لأمته.

وكان ابتداء دخول الإسرائيليات فى التفسير من عهد الصحابة والتابعين حين أراد بعضهم رضي الله عنهم الاستشهاد بما عند اليهود والنصارى لإلزامهما بالحجة؛ فقد قال القرآن الكريم لهما.

- ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ... ﴾[1].

-وكما فعلها النبى ﷺ حين احتكم إلى اليهود فى أمر الزنا: وسألهم عما عندهم فى التوراة وفتحوها فإذا آية الرجم تلوح[2].

-ويروى أن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قد أصاب فى واقعة اليرموك التى فتحت بلاد الشام بمن الله على المسلمين فى عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه مجموعتين من كتب أهل الكتاب فكان يتحدث منهما بما فهمه فى ضوء كتاب الله وسنة رسوله مؤيداً لدينه ملزماً خصوم الإسلام بما فيهما؛ إذ من العته الفكرى أن يقال عن صحابى جليل كعبدالله بن عمرو أنه كان يتزيد على الإسلام أو يدس عليه، وذلك لما يلى:

١ - لأنه عبدالله بن عمرو الصحابى الجليل.

٢ - ولأن حديثه كان فى عهد الفاروق رضي الله عنه الذى ما سمح بالهمس تزيداً على رسول الله ﷺ فلطالما ما علت درته جسد من حاولها ولو كان ولده.

---

١ - سورة المائدة : ٦٨ .

٢ - انظر فتح البارى جـ١٢ ص١٦٦.

٣ - ولأن المسلمين كانوا لا يزالون فى عصر التأسيس الذى لا يسمح بهذه المزيدات المضللة.

إذن فاستعمال الصحابة لهذه الإسرائيليات كان للاستشهاد على أربابها لعدم فهم ما جاءتهم به رسلهم، ولكن بعد عهد الصحابة والتابعين لم يعد التعامل معها مقصور على الرو بها عليهم بها تجاوزه إلى التأويل المجحف بنصوص القرآن الكريم وليها وتحميلها ما لا تحتمل ومن هنا وجد خصوم القرآن طريقهم إلى الدس فكانت خطورة الإسرائيليات.

وأول من تولى كيدها كيداً للإسلام هو يوحنا الدمشقى الذى وجد فى عهد عبدالملل بن مروان.

ويوحنا الدمشقى هو أول من حمل راية التضليل والدس على الإسلام وإلقاء الشبهات حوله، وهو صاحب فرية عشق الرسول ﷺ لزينب بنت جحش (رضى الله عنها) وتأويله الكاذب والمفترى لما تردد عند تفسير قوله (تعالى): ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ... ﴾ الآية. هو عمدة هذه الشبهة مع أنه لم يثبت فى الصحاح شئ عن ذلك.

ومن هذا الرجل وخلفه الطالح انتشرت هذه الترهات فى الإسلام ووجدت هذه الإسرائيليات فى التراث الإسلامى.

يقول "الفريد هيوم" فيما نحن بصدده:

"وبمرور الزمن أسلم الكثير من اليهود والنصارى تملصاً من الجزية التى كانت تجبى من الموحين وأهل الكتاب من غير المسلمين فهؤلاء الذين دخلوا كنف الدين حملوا معهم ثقافة

الإمبراطورية البيزنطية وثقافة اليونان هذه الإنشقاقات الواسعة التى أنزعت السلطات الكنسية فشرعت تهاجم بالجدل والمناظرات أسس العقيدة الإسلامية . . . فالقديس يوحنا الدمشقى كان يستطيع أثناء مناظرته إفحام مناظريه المسلمين ببراهين مطواعة مستسلمة[١].

ولم يكتف هذا بالمجادلة بغير التى هى أحسن بل إنه كان يستشهد ببعض الإسرائيليات على مرائيه الخاطئة، فإذا وجد الفرصة سانحة دسها فى كتب التفسير، فاتخذ هو وأمثاله - من الرواية التى نسبت إلى داود (عليه السلام) اتخذوا من هذه الرواية الباطلة ما نسبوا به الزور إلى رسول الله ﷺ فى زواجه من زينب (رضى الله عنها).

"ولقد راجت تلك الإسرائيليات عند بعض التابعين . . . ممن لهم عناية بالتفسير حتى إن كبار المحدثين كمالك رضي الله عنه كان يتشكك فى بعض التفسير عن قتادة فكان لا يروى عنه فى التفسير ولا يروى عمن روى عن قتادة فى التفسير."

ثم جاء المفسرون فى القرن الثالث وما بعده الذين دونوا التفسير فى مجموعات علمية فوجدوا تلك الثروة التى تركها التابعون من الروايات النقلية فى التفسير ووجدوا مجموعة كاملة منسوبة لابن عباس رضى الله عنهما، ولكن تلك التركة العظيمة قد اختلط بها بعض ما يجب تنقيته منها: اختلط بها إسرائيليات غير معقولة فى ذاتها، وبعضها مخالف للمقدورات الإسلامية، وبعضها زيادات لا صلة لها بالدين، ولا تربطها بالإسلام رابطة، ولا تجمعها به جامعة"[٢].

---

١ - تراث الإسلام تأليف جمهرة من المستشرقين بإشراف سير توماس آرنولد ص ٣٦٤ .

٢ - مع المستشرقين والمفسرين للدكتور/ زاهر عواض الألمعى ص٣١.

ثالثاً : استغلال المنصرين، وبعض المستشرقين للإسرائيليات وبعض الروايات الموضوعة فى التراث الإسلامى.

دأبت كتائب المستشرقين والمنصرين التى رصدها الغرب الصليبى لتشويه صورة الإسلام، وحياة رسوله محمد ﷺ على تلقف الأخبار الضعيفة، والموضوعة، وعلى الإسرائيليات المتعثرة فى بعض كتب التراث الإسلامى فرسالة الاستشراق والتبشير تفرض على المستشرق والمنصر النيل من الإسلام، والحط من قيمته وآدابه عن طريق تلك الروايات الضعيفة والمكذوبة، وما وضعه الواضعون، وترنم به القصاصون، وجلها من الإسرائليات التى ابتليت بها كتب التفسير، ومن أكثرها ذيوعاً ما كتب حول زواج النبى ﷺ خاصة ما كتب حول زواجه من السيدة زينب بنت جحش (رضى الله عنها).

والعجيب أنهم لا يقفون عند الهجوم على زواج النبى الشرعى المعلن بل إن هجماتهم الوقحة تمتد إلى القول بأنه ﷺ كانت له علاقات غير شرعية مع بعض النساء.

يقول المستشرق "مونتجمرى وات":

"ونعلم من بعض الوثائق أن محمداً، بالإضافة إلى زيجاته الشرعية واتصالاته؛ بالجوارى كانت له علاقة مع نساء أخريات، وذلك حب النظام الأممى القديم[١]".

وهذه النزعات المنحرفة والكذب المكشوف والمفضوح لا يقتصر على "مونتجمرى وات" ولكن يشاركه فى هذه الوقاحة أمثاله

١ – محمد فى المدينة لمونتجمرى وات ترجمة شعبان بركات ص٤٣٤.

من كذبة المستشرقين والمنصرين وعلى رأسهم: موير، ومرجليوث، وأرفنج، وواشنطن، وسبرنجر وغيرهم.

ومن هنا برز دور المستشرقين والمنصرين فى إثارة الشبهات حول رسول الإسلامﷺ سلفاً، ولا تزال الحركات الاستشراقية والتنصيرية توصل الليل بالنهار فى عملها الدائب الذى لا يعرف الكلل أو الملل لتشويه صورة الإسلام، والمبكى المضحك أنهم يلبسون هذا الإفك المفترى ثوب البحث العلمى النزيه.

رابعاً : حقد أعداء الإسلام على الإسلام ورسوله.

منذ اليوم الأول للدعوة الإسلامية والحرب دائرة الرحى بين الإسلام وشأنيه ففى فجر الدعوة قالت قريش لرسول الله ﷺ : ﴿ يَـا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾[١]. فلما وضع الإسلام نواة أمته بالمدينة المنورة فأصبح له ديوان وسيف تولى كيدها اليهود فقالوا لرجال الوثنية المخرفة أنتم أهدى سبيلا من المسلمين ثم انضم إليهم خلفاً رجال من الصابئة والمجوس والنصارى حين التفوا بالإسلام يوم أن مد الله (تعالى) بساطه فشمل فارس والعراق والشام ومصر وعبر إلى أوربا فقام أرباب هذه الملل والنحل يدفعهم حقد دفين بإثارة الشبهات حول الإسلام وهو يقول لهم : ﴿ ... تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾[٢].

---

١ – سورة الحجر : ٦ .

٢ – سورة آل عمران : ٦٤ .

وهكذا شارك الحقد فى إثـــارة الشـــبهات حـــول الإســـلام ورسوله.

خامساً: تهاون علماء الأمة فى الدفاع عن دينهم.

ففى الوقت الذى يرصد فيه خصوم الإســـلام الكثـــير مـــن أموالهم لردة المسلمين عن دينهم، ويبذلون الغالى والنفيس فى ســـبيل ذلك نرى الكثير من المسلمين بسلوكهم وتصرفاتهم لا يربطهم بدينهم إلا الاسم فقط، وبالتالى فهم معاول فى يد خصومهم لهدم دينهم ولقـــد ظلم المسلمون دينهم مرتين:

الأولى : حين جهلوه، فلم يعوا حكمه وأسراره، ولم يبلغـــوه للناس سليماً معافاً من الدس والتزوير.

الثانية : حين لم يتمثلوه سلوكاً تنتظم عليـــه حركتـــهم فـــى الحياة؛ فأضحوا بذلك مثالاً سيئاً للإسلام ولدعوته، أما علماء الأمـــة فقد شغلت بعضهم دنياهم عن العمل لدينهم فتركوا الساحة تعبث بـــها ذئاب المستشرقين والمنصرين فكانت الطامة الكبرى.

لهذه الأسباب مجتمعة أثيرت الشبهات حول الإسلام.

الحكمة البالغة فى زواج الرسول ﷺ

من زينب

الحكمة هي ما أبانت الآية الكريمة التي استشهد بها المشتبهون فقد ذيلت الآية بقوله (تعالى): ﴿ لِكَيْ لاَ يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولاً ﴾[1].

فقد كانت عادة التبنى ذائعة منتشرة فى الجزيرة العربية فى الجاهلية وفى صدر الإسلام، وكانت هذه العادة الفاسدة بهيئتها التى صاغتها الجاهلية عليها تحرم المباح، وتبيح الحرام، وتمنع الحق أهله، وتيسره لغيرهم، وهذا ظلم بيّن؛ فقد كانت تقتضى بمعاملة المتبنى معاملة ولد الصلب تماماً فهو:

* -يرث متبناه، ويرثه متبنيه.
* -لا حق له فيما ترك أبوه لصلبه، ولا حق لأبيه فى ماله.
* -تحرم عليه بنت المتبنى، ويحرم عليها: وهما حلال.
* -تباح له أخته لصلبه، ويباح لها: وهما محرمان.

وهذا ما يرفضه الإسلام ولا يقره، فلا يأذن باستمراره فتعين القضاء عليه.

ولما كانت هذه المهمة الصعبة لا يطيق حملها وأداءها إلا رسول الله ﷺ فقد عينته الإرادة الإلهية لها؛ فهى من القول الثقيل

---

١ - سورة الأحزاب : ٣٧ .

الذى يبين الله لرسوله أنه سيلقيه عليه فى فجر الدعوة، وأمره أن يستعين بقيام الليل والقرآن عليه فقال له:

﴿ يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ (١) قُمْ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلاً (٢) نِصْفَهُ أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً (٣) أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلْ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً (٤) إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً﴾[1].

وكان الاختيار؛ لأنه الرجل الذى نذر حياته لمحاربة موروثات قومه البالية الفاسدة.

فيتزوج زيد بن حارثة متبنى رسول الله ﷺ بزينب بنت جحش (رضى الله عنهما)، وبعد أن ساءت العلاقة بينهما لَيَبْلُغَ الكتاب أجله ذهب زيد إلى رسول الله ﷺ راغباً فى طلاق زينب فقال له الرسول ﷺ اتق الله فلا تطلقها؛ فهو أبغض الحلال عند الله، وأمسك عليك زوجك، وهو يعلم - بإعلام الله (تعالى) له - أن زيداً سيطلقها وأنه سيتزوجها لإبطال عادة التبنى، لكنه أخفاها عن زيد حياءً منه؛ فقد كان ﷺ أشد الناس حياءً لكن العشرة بين زينب وزيد ساءت فطلقها زيد حين أدرك أن استمرار الحياة بينهما - سيؤدى حتماً إلى مخالفة شريعة الله فى ما أوجب الله على كل منهما تجاه الآخر وبعد أن انقضت عدتها زوجها الله لرسوله لإبطال عادة التبنى الجائرة التى منيت بها الجزيرة العربية فترة طويلة امتد لهيبها المدمر إلى صدر الإسلام الذى جاء لمحو الوثنيات والعادات الآفكة وتأسيس أمة على الحق والحق وحده فيمتد أريجه إلى الدنيا كلها

---

١ – سورة المزمل : ١ – ٥ .

فيملأها خيراً وبراً وأمناً وطمأنينة إلى أن يأذن الله (تعالى) لهذا السوق أن ينفض، وأن يساق مرتادوه إلى جنة أو نار.

والعجيب أن يثار هذا اللفظ حول زواج الرسول ﷺ بزينب (رضى الله عنها) وهى مسألة حسمها القرآن الكريم حسماً.

*-فزواج زينب من زيد كان قضاء مبرماً من الله (تعالى) قال (تعالى) بشأن زينب وأخيها حين رفضا زواج زينب من زيد ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلاَ مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمْ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾.

*-والمزوج رسول الله بزينب هو الله (تعالى) قال (تعالى): ﴿... فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا...﴾.

*-والحكمة البالغة والواضحة حجة دامغة لكفرة المستشرقين والمنصرين يذيع نبؤها ذيل هذه الآية: ﴿... لِكَيْ لاَ يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولاً﴾.

هذا ويجمل واحد من علماء الأمة نقلاً عن أهل العلم الحكمة من تعدد زواجه ﷺ فيقول: "والذى تحصل من كلام أهل العلم فى الحكمة فى استكثاره من النساء عشرة أوجه".

أحدها:

أن يكثر من شاهد أحواله الباطنة فينتفى عنه ما يظن به المشركون من أنه ساحر أو غير ذلك.

ثانيها:

لتتشرف به قبائل العرب بمصاهرته فيهم.

ثالثها:

للزيادة فى تألفهم لذلك.

رابعها:

للزيادة فى التكليف حيث كان: أن لا يشغله ما حبب إليه منهن من المبالغة فى التبيغ.

خامسها:

لتكثر عشيرته من جهة نسائه فتزداد أعوانه على من يحاربه.

سادسها:

نقل الأحكام الشرعية التى لا يطلع عليها الرجال؛ لأن أكثر ما يقع مع الزوجة مما شأنه أن يخفى مثله.

سابعها:

الاطلاع على محاسن أخلاقه الباطنة؛ فقد تزوج أم حبيبة وأبوها - إذ ذاك يعاديه - ... فلو لم يكن أكمل الخلق فى خلقه لنفرن منه، بل الذى وقع أن كان أحب إليهن من جميع أهلهن.

ثامنها:

ما تقدم من خرق العادة له فى كثرة الجماع مع التقليل من المأكول والمشروب كثرة الصيام، وقد أمر من لم يقدر على مؤن النكاح بالصوم...

تاسعا، عاشراً:

ما تقدم من تحصينهن، والقيام بحقوقهن. انتهى[١].

١- الجواب الفسيح لما لفقه عبدالمسيح للإمام الآلوسى البغدادى جـ١ ص٥٥٦ ، ٥٥٧.

شبهة الإسلام والسيف وردها

****

****

١- الإسلام والأمن العام

٢- دعوى أن الإسلام قام بحد السيف والرد عليها

١ - الإسلام والأمن العام

الإسلام لم يشرع القتال لذات القتال: فهو لم يشرعه ليدل بقوة رجاله، ولا للسلب والنهب، ولا للاسترقاق والاستيلاء على مقدرات الشعوب، لكنه شرعه دفاعاً عن عرض منتهك، ومال منتهب، وحمى مستباح، ولتمكين دعوته من الإعلان عن نفسها في أرض الله الواسعة.

فوقف المسلمين في ميادين القتال ليست إلا لحظات عارضة طارئة لا يملكون لها دفعاً؛ فالإسلام منتصر بقدر ما يربح من قلوب لا بقدر ما يكسب من معارك، ورسول الإسلام - ومن بعده ولاة أمر المسلمين - ليس خبراً لا مهمته القتل، والاستيلاء على الأرض، ولكنه داع إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ثم المجادلة بالتي هي أحسن، ثم المعاقبة بالمثل دفعاً لعدوان مبيّت.

قال (تعالى): ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (١٢٥) وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ (١٢٦) وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللَّهِ وَلاَ تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلاَ تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ (١٢٧) إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾[1].

ولكن إذا فرضت الحروب على الأمة فرضاً فعليهم أن يخوضها رجالاً شامخين لا يقبلون الضيم، ويأنفون الظلم، لا يولون

---

(١) سورة النحل: ١٢٥ - ١٢٨.

عدوهم الأدبار مهما كانت نتائج ثباتهم فى المعركة فإنـــها لإحـــدى الحسنيين: النصر أو الشهادة.

وهذه هى دعائم منهج الإسلام فى إرساء دعائم الأمن العام لأمته.

الدعامة الأولى: الدعوة إلى السلم والبعد عن إراقة الدماء:

فالإسلام دين الرحمة والبر والسلام ظاهراً وباطناً.

وشاهدنا على ذلك:

أ) أن اسمه مشتق من السلم، والسلامة، والسلام.

ب) أن شارات التحية بين أبنائه: منـــهم وإليـــهم: الســـلام والرحمة والبركة.

جـ) أن شريعته قائمة على اليسر والرحمة والســـلام بيـــن الإنسان ونفسه، وبينه وبين الآخرين.

د) أنه حين دعا إلى استعمال القوة وظفـــها لخدمـــة الســـلم والأمن كما سنتبين - إن شاء الله - بعد .

ومن هنا كان تأكيدنا على هـــذه الركـــيزة الأولـــى مـــن أن الإسلام فى منهجه إلى أمن أمة قد ارتكز - أولاً - على الدعوة إلـــى السلام: سلام الإنسان مع نفسه وسلامتها من توردە موارد التهلكـــة، وسلمه مع غيره حتى ولو كان غير مسلم طالما كان غير محـــارب لنا، أو منتهك لحرمات ديننا، أو معتد علـــى مقدراتنـــا فـــهذا هـــو دستورنا:

﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ... ﴾[1].

ومما لا شك فيه أن إيصاله إلى مأمنه يكون فى حالة الرفض لا فى حالة الاستجابة وإلا فإنه فى حالتها مثلنا له ما لنا وعليه ما علينا فلا حاجة إلى بلوغه مأمنه فضى فوطئ كل قدم له فى بلاد الإسلام أمان له.

إن الإسلام يغرس السلم فى نفوس وقلوب أتباعه، ثم يدع أيديهم تمتد به بيضاء نقية إلى العالم بأثره.

لكنه دين واقعى يعايش الحياة، ويدرك مكنون أسرارها، ويفهم طبائعها، فيستبان لثاقب بصره أنها مزيج من الخير والشر، وأنها تنتظم الأخيار والأشرار على حد سواء، وأن المسلمين ليسو بمنآى عن التعامل مع كلا الفريقين، وأنهم لن يسلموا من منائيهم حتى وإن سالموهم.

إنهم قوة عاملة فى هذه الحياة عليهم أن يعمروا الأرض، وأن يبسطوا سلطانهم على القوى الكامنة فى الطبيعة؛ فهذا قرآنهم يناديهم من عل: ﴿ ... فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴾[2].

ولن يكون للمسلمين شان فى هذه الحياة إلا إذا عاشوا واقعها، وشربوا من مائها، وذاقوا مرارة شرها، وحلاوة خيرها.

---

١ - سورة التوبة : ٦ .

٢ - سورة الملك : ١٥ .

والإسلام يدعو أمته إلى نبذ الأشرار، والبعد عنهم، وعـدم مخالطتهم، كما يدعوا إلى عدم بدئهم بالشـر، لكنـه يحثـهم علـى مواجهتهم بكل قوة متى أرادوا النيل منهم، أو التطاول عليهم فدينـهم مدرك أن الشر مسلط دائماً على الخير حتى وإن سالمه وكـف يـده عنه، تماماً كما فعلها قابيل مع هابيل: فهابيل يقول له: ﴿ لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّـهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ (٢٨) إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَـابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴾[١].

لكن قابيل لم يرعو فتجد هذه الكلمات الطيبات طريقها إلـى قلبه، ولا إلى أذنه فتطوع له نفسه الأمارة بالسوء قتل أخيه فيقتلـه: ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾[٢].

والإسلام ليس مجرد أحكام تتلى لتتلى فقط، وليـس مجـرد مقررات نظرية يتمثلها الناس ويتصورونـها ولا يتعـاملون معـها فتكون أشبه بما يقع فى تصوراتهم الفلاسفة، وخيالات الشعراء يسـعد بها أصحابها فى أحلام يقظتهم، ولا يطبقونها فى حياتهم؛ فهو ديـن واقعى يردف القول بالعمل.

ومن هنا ندرك أن الإسلام قد أسس منهجه على واقع الحياة، وأقامه على مقتضى متطلباتها: فسالم الوادعين المسالمين لـه حتـى وإن لم يؤمنوا به، فإذا تنكر غير المسلمين وحملوا سـيوفهم لقتلـهم

---

١ – سورة المائدة : ٢٨ – ٢٩ .

٢ – سورة المائدة : ٣٠ .

والفتك بدينهم فأضحت دنياهم مذابة يسودها والاغتيال أمر الإسـلام أمته أن تذود عن حوضها بسلاحها، وأن تفتدى دنيها بمهجها، و

السيف أصدق أنباءً من الكتب ∴ فى حده الحد بين الجد واللعب

فالسلم – فى الإسلام – نوعان :

*-سلم : لا تستخدم فيه القوة؛ فهو عارٍ منها تماماً تتحـرك فيه الأمة لحماية نفسها فى إطار قوله (تعالى): ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنْ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَنَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنْ الْمُشْرِكِينَ ﴾[١].

فيكون لحمة وسدى: دعوة إلـى الله بالحكمـة والموعظـة الحسنة؛ فهو سلم المسالمين والوادعين.

*-سلم : تعد فيه القوة وتجهز لسلامتها من عدو يعد نفسه للإغـارة عليها فيرهبه عددها وعتادها فيحجم عن الـهجوم عليـها، فتكـون فـى ذلـك سلامتها، وهذا ما يعبر عنه العسكريون بالسلم المسلح.

هذا وتتضح معالم السلم فى الإسلام فيما يلى :

١ - القتال بين المسلم وأخيه المسلم .

٢ - لا يبدأ بعدوان قط .

٣ - معاملة المغلوبين بالعدل .

٤ - معاملة الأسرى بالرحمة واحترام إنسانيتهم و ، و ، إلى آخره.

---

١ – سورة يوسف : ١٠٨ .

الدعامة الثانية : إعداد العدد والعدة:

وإذا كان الإسلام يدعو إلى السلم العام، وإلى الأمن العـــام؛ فإن أكبر داع إليهما أن تكون الأمة مرهوبة الجانب، مهيبة الأركـان، عالية البنيان، ولن تكون - كذلك - إلا إذا اتخذت من عقـــول بنيـــها وسواعدهم قوة يهابها القريب والبعيد: أقامتها فى شعورها، ورابطتها على حدودها.

وهذا هو ما أشرت إليه - سلفاً - بالسلم المسلح.

وحين تفعل الأمة ذاك يبشرها ربها بــالنصر؛ فالإســلام لا يبشر أمته بالنصر إلا إذا اتخذت له أسبابه الواقعية التى لا تتجــاوز مقدور البشر، ولا يعدهم بنصر - قط - وهم قعود ذاهلون غـــافلون عما يجرى من حولهم، وما يدبر لهم؛ فإن قعدوا قعد النصر عنـــهم، فهذه سنة الله فى أرضه وفى خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلا، وواقـــع أمتنا اليوم يحكى مرآنا هذا.

إن الإسلام لا يعلق أبصار أمة بآفاق النصر والعز والمجـــد إلا وقد أمن لها الأرض الصلبة التى تطمئن عليها أقدامها بدعوتـــها إلى اتخاذ الأسباب العملية التى تقرها فطرتهم المســتقيمة، وتؤيدهــا تجاربها المتواصلة فيحقق الله (تعالى) لها المكانة الراقية التى نشـدها لها دينها، وتمناها أبناؤها لأنفسهم.

ومن هذا المنطق كان أمر الإسلام لأمته.

﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ ﴾(١).

فالقرآن الكريم بهذا النداء القدسى يوجه أمته إلى ما يلى :

١ - إعداد العدة المتطورة المتقدمة والعدد الكثيف من الرجال الأشداء للمرابطة فى سبيل الله، وهو تجبيش الجيوش فى أيامنا هذه.

٢ - أن يكون هذا الاستعداد على أعلى مستوى ممكن؛ فلا تكفى فيه الوحدات الرمزية، ولا القوات الاستعراضية: فلابد أن تكون قوة لها قدرتها القتالية، وأسلوبها المتطور، وميزانها، وهيبتها؛ ولذلك كان نداء الإعداد مقروناً بالاستطاعة: ﴿ ... مَا اسْتَطَعْتُمْ... ﴾. أى أن تبذلوا كل ما فى وسعكم وطاقتكم؛ فى تألوا جهداً علمياً أو جسمانياً أو عددياً، ولا تتركوا فناً من فنون القتال إلا وتعلمتموه.

٣ - المراد بالقوة القوة الشاملة المستوعبة لكل القوى: الإيمانية، والعلمية، والجسمانية، والعددية، والعُددية، والتكتيكية: النابهة فى وضع الخطط العسكرية. المتصفة بالصبر والثبات عند لقاء العدو المتميزة بالعزم والتصميم على تحقيق النصر أو الاستشهاد دونه.

فهى - إذن - قوة تجمع كل ما من شأنه أن يسمى قوة، وأن يجلب القوة معاً.

---

١ - سورة الأنفال : ٦٠ .

٤ - أن هذه القوة المعدة لا يجمعها نـــزول الأحـــداث ولا يفرقها زوالها؛ فهى ليست موقوتة بزمن، ولا مهيأة بنزول الحـوادث: إنها معدة للمرابطة الدائمة المستمرة فلا تجمعـــها الغـارة ويفرقـــها الأمان منها.

كما أن إعدادها والاستعداد بها لا ينتظر هجوم الأعداء علينـا بل يجب أن تعد - ابتداءً، وإن لم يكن لنا عدو ظاهر نعدها لملاقاتـه؛ فهى استعداد لدرء ما من شأنه أن يقع بالأمة، وإن لم يكن ثم عـــدو ظاهر يتربص بالأمة الدوائر؛ حتى لا تؤخذ الأمة على غرة.

وهذه إشارة القرآن الكريم الواضحة لذلك.

﴿ ... وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمْ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ... ﴾ .

٥ - أن تكون هذه القوة مزودة بأحدث الأسلحة القتالية؛ فمـــا يجدى القوس أمام الصاروخ، وما يثبت السيف أمـــام القنبلـــة، ولـــن يكون للاستطلاع قيمة اليوم إذا لم يكن مزوداً بالأقمـــار الصناعيـــة وأحدث أجهزة التصنت والتسمع؛ وتعبير القرآن بالقوة بدل الرجـــال يوحى بذلك ويشير إليه.

وتعبير القرآن الكريم بالخيل توجيه إلـــى اســتخدام أقـــوى الأسلحة، وأفتكها بعدو الله وعدونا؛ فالخيل والرابطة بها كان أفضـــل ما يعد لمن خوطبوا بالقرآن فى أول نزوله، ومشاهدنا على ذلك أنـــها عطفت على القوة عطف الخاص له على العـــام لمكانـــة الخـــاص وعلوها بين أفراد العام كقوله (تعالى) : ﴿ تَنَزَّلُ الْمَلاَئِكَةُ وَالـــرُّوحُ فِيهَا ... ﴾[1].

---

١ - سورة القدر : ٤ .

يقول صاحب الظلال عند تعرضه لتفسير هـــذه الآيـــة[١]:
ويتحدث عن الحكمة من إعداد هذه القوة وأهدافها.

"لابد للإسلام من قوة ينطلـــق بـــها فـــى الأرض لتحريـــر الإنسان".

وأول: ما تصنعه هذه القوة فى حقل الدعوة - أن تؤمن الذين يختارون هذه العقيدة على حريتهم فى اختيارها فلا يصدروا عنـــها، ولا يفتنوا - كذلك - بعد اعتناقها.

الأمر الثانى: أن ترهب أعداء الدين فلا يفكروا فى الاعتداء على دار الإسلام التى تحميها تلك القوة.

الأمر الثالث: أن يبلغ الرعب بهؤلاء الأعداء ألا يفكروا فـــى الوقوف فى وجه المد الإسلامى وهو ينطلق لتحرير الإنسان كله فـــى الأرض كلها.

الأمر الرابع: أن تحطم هذه القوة كل قوة فى الأرض تتخـــذ لنفسها صفة الألوهية فتحكم الناس بشرائعها هى، ولا تعـــترف بـــأن الألوهية لله وحده...

إن الإسلام ليس نظاماً لاهوتياً يتحقق بمجرد استقراره عقيـدة فى القلوب، وتنظيماً للشعائر ثم تنتهى مهمته.

إن الإسلام منهج واقعى للحياة، يواجه مناهج أخـــرى تقـــوم عليها سلطات وتقف وراءها قوى مادية، فلا مفر للإسلام - لإقـــرار منهجه الربانى من تحطيم تلك القوى المادية...

---

١ - انظر فى ظلال القرآن للإمام سيد قطب جـ٣ ص١٥٤٣، ص١٥٤٤.

<u>الدعامة الثالثة</u>: وضع الآداب الرفيعة للتعامل مع المحاربين له.

الإسلام دين السلام - كما أشارت إلى ذلك دعامته الأولى - فهو لا يدعو - قط - إلى العدوان على الآخرين للاستيلاء على خيراتهم، وسلب مقدراتهم، ولا لاستعراض قوته، ولا إلى ظلم أحد والجور عليه، كما أشرنا إلى ذلك سلفاً.

إن الحرب فى الإسلام لدفع عدوان مبيت عليه أو على أمته: نفساً، ووطناً، ومالاً، وقد تكون خارج أرضه لدرء العدوان - كذلك - حين يدرك لا يخالجه شك فيما يدرك، أن خصومه قد أعدوا عدتهم، وبيتوا نيتهم لمداهمتهم فى أوطانهم فيخرج إليهم لمناجزتهم فى أوطانهم، وخارج أرضه فيما يعرف بالحرب والوقائية؛ فهى ليست عدواناً ولكنها لدرء عدوان مبيت عليه، ولتحرير الشعوب المستضعفة، وفك آصارها.

فحرب الإسلام لإقرار السلام والتأمين له.

وذهب سفيان الثورى إلى أن الجهاد فرض شرعى متى اضطر المسلمون إلى الدفاع عن أنفسهم فقط فهو يحرم الحرب الاعتدائية، ويستدل على مرآه هذا بقوله (تعالى):

﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾[1].

فلا حرب استعمارية فى الإسلام بالمعنى المعروف وإنما حروب وقائية دفاعية وإن تمثلت خروج كتائب المجاهدين من جزيرتهم الشماء إلى الدنيا بأثرها، وشاهدنا على ذلك ما يلى:

---

١ - سورة البقرة: ١٩٠ .

*-أن فتح العراق وسورية كان حرباً وقائية حيـــن بيتـت النية للغدر بالمسلمين. يقول عمر بن الخطاب ﷺ وأرضاه - عنها: "لوددت أن يكون بين السواد [العراق] وبين الجبل سداً لا يخلصـــون إلينا ولا تخلص إليهم".

*-وفى الشام أرسل الروم جيشاً كبيراً عدتـــه مائتـا ألــف مقاتل، وقيل مائة ألف للقضاء على الإسلام فى جزيرته فخرج إليـــهم المسلمون فالتقوا فى تبوك فكان اللقـــاء لـــدرء العـــدوان الرومـــانى وانتصر المسلمون.

*-كان تحرك المسلمين الأول لتأمين الدعوة والقضاء علـــى خصومها الذين أعلنوا عليها حرباً لا تهدأ ولا تفتر، وقالوا فى تحـــد سافر لن نؤمن بهذا الدين، ولن ندعه ليعلن عن نفسه وسنعمل علـــى إبادة المسلمين فكان لابد من التصادم العسكرى لضـــرب الجـــبروت والرهبوت الرومانيين، ولتحطيم الصلف والغرور الفارســـيين فتـــم بنصر الله ذلك.

*-كان خروج المســـلمين إلـــى مصـــر اســـتجابة لنـــداء المصريين، وتلبية لاستغاثتهم يوم باتوا يئنون من حكم القوط الذيـــن استولوا على خيرات بلادهم، ثم ساموهم سوء العذاب، وحالوا بينـــهم وبين الانضواء تحت راية الإسلام يوم فتح الله قلوب المصريين لـــهذا الدين الجديد.

وإذا كان القتال يقوم بين الناس فى وجوه كثيرة: فى ســـبيل وفى غير سبيل الله، فإن القتال فى سبيل الله هو القتال الواجب البـــار العادل الكريم؛ لأنه انتصار للحق وتمكين له.

وإذا لم يكن القتال مبادأة ولا هجوماً بل دفاعاً وقصاصاً، كان القتال الذى لابد منه، ولا بديل له، ولا محيض عنه؛ فهو طلبة الدين والدنيا.

وإذا كان القتال: دفاعاً وقصاصاً وكان ديانة ودنيا، وكان محفوظاً عن المبادأة بالعدوان كان القتال الذى ر يحسم الشر غيره، ولا يقيم الأمن والسلام سواه.

وهذه هى معالم القتال فى الإسلام:

١ - ألا يكون بين المسلمين والمسلمين قط.

٢ - أن يكون فى سبيل الحق والعدل والتمكين لهما فى أرض الله الواسعة الجنبات.

٣ - ألا يكون عدواناً - قط - حتى ولو كان المحاربين لنا مجاهرين بالعداء.

وهذه المعالم الثلاثة هى ما اتسم به جهاد المسلمين لأعدائهم، وهى ما تشير إليها الآية الكريمة ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ ؛ لقد أدب الإسلام أمته بأرفع الآداب وأرقاها، ورباها على أحسن الصفات وأسماها.

وبرغم عدالة الإسلام وأحقيته التامة فى مناجزة أعدائه، ودفعهم عنه بالقوة المسلحة فإنه قدم للمجاهدين آداباً عامة حثهم على العمل بها، والتمسك بأهدابها نذكر منها:

أ) عدم العدوان على الآخرين:

إن الإسلام ينهى عـن الاستعمار بشقيه: أن يستعمر المسلمون غيرهم، أو أن يستعمرهم غيرهم فيقبلوا استعمار غيرهم له؛ فالإسلام لا يدعوا للسيطرة على الآخرين، ولا يدعوا إلى الأنانية الاقتصادية أو القومية، ولا يوجه أنظار أمته إلى مقدرات الآخرين طمعاً فيما منحه الله (تعالى) لهم ليزيد من رفاهيتها على حساب الآخرين، كما لم يفكر قط فى إكراه أحد على الدخول فى الإسلام(*).

قول موير :

"إن فكرة نشر الإسلام بشن حرب عامة لم يخطر قط ببال المسلمين"[١].

ويقول العلامة أبو الأعلى المورودى:

"إن المؤرخين قد أعادوا وأبدأوا وأسهبوا وأطنبوا فى ذكر الغزوات حيث جعل الناس يزعمون أن هذا الانقلاب العظيم فى بلاد العرب إنما حدث بالحرب التى حمى وطيسها فى بلاد العرب [هذا وهم كاذب فهذه الحروب] لم يمتد لهيبها إلا لبضع سنين، والتى سخرت لأمر الإسلام أمة باسلة من أحلاس الحروب كالعرب لم يقتل فى تلك كلها إلا ألف وبع مائة رجل من كلا الجانبين.

وإن كان لك علم بتاريخ الثورات فى العالم لاضطررت إلى الاعتراف بأن هذا الانقلاب الذى ما أريق منه دم يذكر، ما أجدره أن يسمى انقلاباً سلمياً، ثم لم يتغير بهذا الانقلاب العقليات ووجهات الأنظار ومناهج التفكير [فقط بل] وتغيرت طرق المعيشة والأخلاق والعادات تغيراً تاماً.

---

* – لنا مزيد بسط لهذا الموضوع – إن شاء الله (تعالى).

١ – الإسلام والنظام العالمى الجديد لموير ص ١٢٤ .

وبالجملة فقد انقلبت أرض العرب ظهراً لبطـــن، وتحولــت الأسر بأسرها تحولاً تاماً.

ويلجأ الإسلام إلى استعمال فى ظروف لا يملك لـــها دفعــاً، ولا ينكرها ذو عقل منصف عليه وفى هذا المعنــــى يقــول شـــوقى (يرحمه الله).

قالوا غزوت ورسل الله ما بعثوا ∴ لقتل نفس ولا جاءوا لسفك دم

جهلٌ وتضليلٌ أحلامٌ وسفسطـــة ∴ فتحت بالسيف بعد الفتح بالقلم

لما أتى لك عفواً كل ذى حسب ∴ تكفل السيف بالجهــال والغمم

والشر إن تلقه بالخير ضقت به ∴ ذرعاً وإن تلقه بالشر ينحســـم

الإســـلام والسيـــــف

١ - عــرض الشبهـــة .

٢ - الـــرد عليهـــا .

أولاً : أن العقائد لا تستقر فى النفس تحت وطأة السيف.

ثانياً : أن القتال فى الإسلام لم يشرع قط لإجبار الناس علـى الدخول فى الإسلام.

ثالثاً : نهى الإسلام عن قتال من لم يقاتله من المشركين.

رابعاً : معاملة الرسول للأسرى.

خامساً: عدم تمنى القتال.

سادساً: دخول كثيرين ممن حاربوا الإسلام فى الإسلام.

سابعاً: قبول الجزية من أهل الكتاب.

ثامناً: انتشار الإسلام دون قتال.

تاسعاً: قاعدة الإسلام الأصلية (لا إكراه فى الدين).

يدعى بعض المستشرفين بأن الإسلام أجبر النـــاس علـــى الدخول فيه بحد السيف، وأنه ثورة جياع ضنت عليـــهم جزيرتـــهم بخيراتها فهاموا على وجوههم حـــاملين ســيوفهم للاســتيلاء علـــى مقدرات غيرهم بعد قتلهم متى أبو الانصياع لهم.

وإلا فلم خرجت كتائبهم المسلحة من جزيرتهم بعد أن دانـــت كلها بدينهم، ثم راحـــوا يـــهاجمون الفـــرس والـــروم والمصرييـــن وغيرهم؟!

وهذا – فى منظورنا – كذب صراح أثاره أعداء الإسلام بغية النيل منه، ووصفه – زوراً – بأن دين وحشى همجى إرهـــابى، أمـــا النصرانية فهى المحبة؛ فقد افتدى الله البشرية بابنه الوحيد حين قدمـــه قرباناً على الصليب ليمحو به خطيئة البشرية التى ورثتها عن أبيـــها آدم جيلاً بعد جيل.

ودفعنا لهذه الشبهة الكاذبة الماكرة تتمثله الأسانيد الآتية:

أولاً : أن العقائد لا تستقر فى النفوس تحت وطأة السيف أبداً.

إن العقائد الإيمانية هى الجانب القلبى من الدين؛ فمســـتقرها القلب، وشأنها هذا لا يطلع عليه إلا الله وحده، وبناء على ذلك فـــلا سلطان للسيف عليها.

وقد يضطر الإنسان تحت وطأة العذاب إلى قـــول أو فعـــل يرفع العذاب عنه؛ ويظل ممتلئاً يقيناً بدينه فلا يـــتزحزح عنـــه قيـــد أنملة؛ فلا سلطان للسيف على القلب وعاء الإيمان قط؛ فكيـــف – إذن يجبر الناس على الدخول فى الإسلام بحد السيف؟!

لقد رفض الإسلام إيمان المكره، وكفره كذلك، واعتبر الإكراه عامل نفى لا شاهد إثبات.

وهذا هو القرآن الكريم يبين عن ذلك حين يقول: ﴿ مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾(١).

فقد دلت هذه الآية الكريمة على أن العقائد لا تستقر فى القلب تحت وطأة السيف.

وثبت أن بعض المشركين من قريش قد حاولا ردة ياسر، وزوجته سمية وابنها عمار عن الإسلام كرهاً، فأخذوهم بالبأساء والضراء فامتنعوا فأتى أبو جهل بحربة محمية فطعن بها سمية (رضى الله عنها) فى موطن عفتها فماتت، ولحق بها زوجها ياسر قتيلاً - كذلك - فكانا أول قتيلين فى الإسلام، أما عمار ﷺ فقد أعطى المشركين بلسانه ما أكرهوه عليه، فقيل لرسول الله ﷺ إن عماراً كفر!! فقال ﷺ : "كلا إن عماراً ملئ إيماناً من قرنه إلى قدمه، واختلط الإيمان بلحمه ودمه!!".

وفى رواية أنه ﷺ قال لعمار حين ذهب إليه يشكو حاله: "إن عادوا فعد".

كما ثبت أن مسيلمة الكذاب احتجز عنده رجلين من المسلمين فقال لأحدهما: ما تقول فى محمد؟ قال رسول الله، قال فما تقول فىّ قال: وأنت أيضاً. . .! فخلى سبيله، ثم قال للآخر: ما تقول

---

١ - سورة النحل : ١٠٦ .

فى محمد؟ قال: رسول الله، قال: فما تقول فيّ، قال: أنا أصم فقتله، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: "أما الأول فقد أخذ برخصة الله (تعالى)، وأما الثانى فقد صدع بالحق فهنيئاً له".

إن الدين فى صميمه جذوة من الحق تكن ضمير المؤمن فتكون النور الهادى له، والقوة الموجهة لأفعاله وتصرفاته.

ومن هنا كان الدين عقيدة ينعقد عليها الضمير، فلا يعرف أحد كنه ما انطوى عليه الضمير من الدين، إنه سر بين الدين وصاحبه، لا سبيل لأحد إليه، ولا سلطان لمخلوق عليه.

فما يفسر الإنسان لا يسمى ديناً، ومن المحال أن يعتنق الإنسان ديناً دون اقتناع.

وإذا كانت الرسالات السماوية التى سبقت الإسلام قد جاءت إلى الناس بالآيات القاهرة والمعجزات المذهلة، التى تقهر العقل، وتتعامل مع الحواس، حيث كان العقل يومئذ غير أهل لأن يفكر ويقدر - فإن رسالة الإسلام - وقد التقت بالإنسانية فى رشدها، وبالعقل فى نضجه واكتماله - قد جاءت بآياتها ومعجزاتها فى مواجهة العقل! تحاجه بالمنطق، وتجادله بالحكمة، وتأخذه بالموعظة الحسنة، حتى إذا اطمأن الإنسان ووجد برد السكينة فى صدره آمن عن يقين ودان لله عن رضى.

وهذا هو الدين الذى يعيش مع الإنسان ما عاش معه عقله وسلم به تفكيره[1].

---

(١) انظر التفسير القرآنى للقرآن الكريم للأستاذ/ عبدالكريم الخطيب مجلد (١) ص٣١٨.

ومما يؤكد وجهتنا هذه أن الإسلام يقبل - للدخول فيه - من يشهد ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وهي من أعمال الجوارح؛ لأن هذا مبلغ ما تصل إليه معارف الإنسان؛ فلا اطلاع لغير الله (تعالى) على أعمال القلوب، وحرم دمه حتى ولو كان محارباً قبل قولتها وبيده سيفه يقطر من دماء المسلمين يقول أسامة بن زيد (رضى الله عنهما).

"بعثنا رسول الله ﷺ إلى الحرقة فصبحنا القوم فهزمناهم ولحقت وصاحب لى برجل منهم فلما أدركناه قال: لا إله إلا الله محمد رسول الله فأمسك صاحبى وقتله فلما رجعنا إلى رسول الله ﷺ قال: "يا أسامة: أقتلته بعد أن قال لا إله إلا الله" قلت: يا رسول الله قالها متعوزاً، فقال! "هلا شققت عن قلبه".

لكل هذا قلنا إن افيمان محله القلب، ولا سلطان للسيف على أعمالها فالإسلام لم يقم بحد السيف.

<u>ثانياً</u> : أن القتال - فى الإسلام - لم يشرع قط لإجبار الناس على الدخول فى الدين.

إن الدارس للجهاد فى الإسلام يرى أن الحرب فى الإسلام كانت دفاعاً مشروعاً لرد عدوان مباشر صارخ، أو حرباً وقائية لدفع عدوان مبيّت(*)؛ فالقتال فى الإسلام لم يشرع - قط - لإجبار الناس على الدخول فى الإسلام؛ إذ كيف يستساغ هذا القول مع:

*** - سنبسط - بمشيئة الله (تعالى) الحديث عن مشروعية الجهاد فى الإسلام فى موطن آخر من هذا البحث.**

أ) ما حدث للمسلمين فى مكة من تعذيب وتشـــريد وفتنـــة هاجروا على أثرها مرتين إلى الحبشة، وثالثة إلى المدينـــة المنـــورة حين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يولوا ربنا الله.

ب) بماذا يفسر ثبات المستضعفين مـــن المســـلمين - فـــى مختلف البقاع ولا سيف يحميهم، ولا درع يقيهم، ولا ملاذ يواريـــهم من أذى أعدائهم النازل بهم ليل نهار؟

إنه الإيمان المستقر فى القلب فلا يهزه سيف، ولا يحركه سوط.

جـ) لماذا عاهد الرسول ﷺ اليهود بالمدينة - وهم علـــى دين حرفوه، وكتاب جعلوه قراطيس يبدونها، ويخفون كثيراً؟، ولمـاذا لم يجبرهم على الإسلام أو القتل بعد نقض المعاهدة، وعدوان بنـــى قينقاع على سيدة حرة مسلمة محصنة، ومحاولة بنى النضير قتلـــه، وغدر بنى قريظة به وبالمسلمين من حوله يوم الأحزاب، فضـــاقت على المسلمين الأرض بما رحبت؟

لقد دخل الناس الإسلام لا سيف له، وعاشوا فى كنفه، وسيفه مسلول قوى - يحميهم وهم غير مؤمنين به.

وهذا منطقياً يفصح عن منهجنا فى استعمال القوة متى، وأين:

﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (١٩٠) وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِـــنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنْ الْقَتْلِ وَلاَ تُقَاتِلُوهُمْ عِنْـدَ الْمَسْـجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ (١٩١) فَإِنْ انتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٩٢) وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّـــى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنْ انتَهَوْا فَلاَ عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّـــالِمِينَ

(١٩٣) الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ (١٩٤) وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلاَ تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾[١].

يقول الشيخ / محمد رشيد رضا عند تفسير هذه الآيات[٢].

"كان المشركون يبدأون المسلمين بالقتال لأجل إرجاعهم عن دينهم، ولو لم يبدأوا فى كل واقعة لكان اعتداؤهم بإخراج الرسول من بلده، وفتنة المؤمنين إيذائهم، ومنع الدعوة - كل ذلك كافياً فى اعتبارهم معتدين. . .

ولقد كانت حروب الصحابة - فى الصدر الأول - لحماية الدعة، ومنع المسلمين من تغلب الظالمين، لا لأجل العدوان: فالروم كانوا يعتدون على حدود البلاد العربية التى دخلت حوزة الإسلام، ويؤذنهم وأولياؤهم من العرب المتنصرة: يؤذون من يظن به من المسلمين، وكان الفرس أشد إيذاءً للمؤمنين منهم؛ فقد مزقوا كتاب رسول الله ﷺ، ورفضوا دعوته، وهددوا رسوله - وكذلك كانوا يفعلون...

ولم تعرف أمة قوية أرحم فى فتوحاتها بالضعفاء من الأمة العربية شهد لها علماء الإفرنج بذلك: فيقول غوستاف لوبون: [ما عرف التاريخ فاتحاً أعدل ولا أرحم من العرب].

<u>ثالثاً :</u> نهى الإسلام أبناءه عن قتال من لم يقاتلهم من المشركين.

---

١ - سورة البقرة : من ١٩٠ إلى ١٩٥ .

٢ - تفسير المنار : للشيخ / محمد رشيد جـ٢ ص١٧٣ ، ص١٧٤ .

لقد نهى الإسلام أمته عن موالاة عدو الله (تعالى) وعدوهم، وبين سبب هذا النهي فقال: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنْ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ (١) إِنْ يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُمْ بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ ﴾[١].

وبعد أن نهانا عن مولاة أعداء الله وأعدائنا نهانا عن مقاتلة المسالمين الوادعين منهم، بل وأباح لنا الإحسان إليهم؛ رجاء أن تمتد جذر المودة بيننا فقال: ﴿ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٧) لاَ يَنْهَاكُمْ اللَّهُ عَنْ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (٨) إِنَّمَا يَنْهَاكُمْ اللَّهُ عَنْ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الظَّالِمُونَ ﴾[٢].

إن الإسلام منهج إلهي مختار أناط الله به الأمة المسلمة لتستقيم الإنسانية كلها عليه؛ فه صرة واقعية عملية لحياة مثالية نابهة ترتقي إليها البشرية أحياناً فتحقق إنسانيتها، وتقصر على الوصول إليها أحياناً أخرى فتضل السبيل إلى فطرتها.

---

١ – سورة الممتحنة : ١ ، ٢ .

٢ – سورة الممتحنة : ٧ ، ٨ ، ٩ .

فالعالم الذى يريده الإسلام عالم ربانى إنسانى بمعنى أنه يستمد كل مقوماته وتوجيهه من وحى الله (تعالى) ويمتد ظله الظليل إلى الإنسانية كلها، وله فى كل تشريع حكمة تتناهى فى نباهتها ونبالتها سواء أكانت: أمراً بالقتال أم كفا عنه؛ فالإسلام ما يريدها شعواء، تسيل الدماء على ظباها ليل نهار، بقدر ما يحثهم على مقاتلة عدو الله وعدوهم لا يألون فى ذلك جهداً ليل نهار.

إن الإسلام يأمر أمته أن تواجه محاربيها بكل حزم، وأن تأخذهم بالشدة طالما كانوا مقاتلين لنا لديننا يحملون سيوفهم فى وجوهنا ويخططون للقضاء علينا وعلى ديننا، ويقفون حجر عثرة فى سبيل دعوتنا إلى الله، بالحكمة والموعظة الحسنة، ويرى فى سكوت المسلمين على قوم هكذا شأنهم نكوص عن الحق وخور وجبن ترفع بأبنائه عنه حين حث أمته على الجهاد ورصد لشهدائه جنة عرضها السموات والأرض، لكن حين يمسك المقاتلون لنا عن قتالنا ويجنحون للسلم فقد أمرنا أن نجنح لها، وحين يقعدون عن قتالنا لمرض أو شيخوخة قعدنا عن قتالهم؛ فقتالنا لتأمين الدعوة إلى الله وقد أمن بسكوت الأعداء، ولحماية المسلمين: عرضاً ونفساً ومالاً وقد حميت.

إن الإسلام يأمرنا أن نكف عن قتال من كف عن قتالنا، بقدر ما نهانا عن قتال من لم يقاتلونا، وهم ليسو على ديننا فكانوا محايدين: لا إلينا، ولا علينا.

قال (تعالى): ﴿ إِلاَّ الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَنْ يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ

وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ فَإِنْ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَـاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمْ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلاً﴾[١].

ثبت - إذن - أن القتال فى الإسلام كان لدرء الشر المتربص بالمسلمين وبدينهم، فإذا اندفع، وأضحى الطريق إلى الله آمناً انتـــهت مهمة السيف فأعيد إلى غمده، ولو كان لإجبار الناس على الدخـــول فى الإسلام ما أعاد سيفه إلى غمده إلا بعد إجبار أعدائـــه عليـــه أو قتلهم عن بكرة أبيهم، وما نهاهم عن قتال المخالفين لهم فـــى دينـــهم متى سالموه، ولم يقفوا فى وجه دعوته.

لقد حاول أحد المشركين قتل رسول الله ﷺ وظل يتحســـس الطريق إليه حتى قف بسيفه عليه، ثم قال مخاطباً الرسول ﷺ: مـــن يمنعك منى؟! فقال ﷺ الله فوقع السيف من يده، فأخذه الرســـول ﷺ ثم قال له: من يمنعك منى؟ .

رابعاً : موقف الرسول ﷺ من أسرى بدر.

الدارس لموقف رسول الله ﷺ من أسرى بدر يتبين لـــه أن الإسلام لم يقاتل قط لإجبار الناس على الدخول فيه؛ فقـــد ثبـــت أن المسلمين يوم بدر قتلوا من المشركين سبعين، وأسروا منهم ســـبعين على خلاف فى الروايات، فلما قفل رسول الله ﷺ من بدر استشـــار أصحابه فقال لهم: ما تقولون فى هؤلاء الأسرى؟

---

١ - سورة النساء : ٩٠ .

فقال أبو بكر ﷺ :

"يا رسول الله هؤلاء بنو العم والعشيرة والإخــــوان، وإنـــي أرى أن تأخذ منهم الفدية: فيكون ما أخذناه قوة لنـــا علـــى الكفـــار، وعسى أن يهديهم الله فيكونوا لنا عضدا".

فقال رسول الله ﷺ : ما ترى يا ابن الخطاب؟

قال: قلت والله ما أرى ما رأى أبـــو بكـــر، ولكـــن أرى أن تمكنني من فلان قريب لعمر فأضرب عنقه، تمكن علياً من عقيـــل فيضرب عنقه، وتمكن حمزة من فلان أخيه فيضرب عنقـــه، حتـــى يعلم الله أنه ليست في قلوبنا هوادة للمشركين، وهـــؤء صنـــاديدهم، وأئمتهم، وقادتهم".

وقال عبدالله بن رواحة:

"يا رسول الله أنظر وادياً كثير الحطب فأدخلـــهم فيـــه، ثـــم أحزمه عليهم ناراً".

فدخل الرسول ﷺ ولم يرد عليهم شيئاً، فقال ناس يأخذ بقول أبي بكر وقال ناس يأخذ بقول عمر، وقال ناس يأخذ بقول عبدالله بـــن رواحة، فخرج عليهم فقال: " إن الله ليلين قلوب رجـــال فيـــه حتـــى تكون ألين من اللبن، وإن الله ليشد قلوب رجال فيه حتى تكون أشـــد من الحجارة، وإن مثلك يا أبا بكر كمثل إبراهيم قال: ﴿ فَمَنْ تَبِعَنِـــي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ . ومثلك يا أبا بكر كمثـــل عيسى قال: ﴿ إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَـــإِنَّكَ أَنْـــتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ .

وإن مثلك يا عمر كمثل نوح قال: ﴿ رَبِّ لاَ تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنْ الْكَافِرِينَ دَيَّاراً﴾ . وإن مثلك يا عمر كمثل موسى قال: ﴿... رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الأَلِيمَ ﴾[1]. ثم نظر رسول الله ﷺ إلى الأسرى وقال لهم: "أنتم عالة فلا يبقين أحد إلا بفداء أو ضرب عنق".

قال ابن مسعود قلت يا رسول الله إلا سهيل بن بيضاء؛ فإنه يذكر الإسلام[2] فسكت رسول الله ﷺ فما رأيتني في يوم أخوف من أن تقع على الحجارة مني في ذلك اليوم حتى قال رسول الله ﷺ: "إلا سهيل بن بيضاء".

فأنزل الله ﷻ : ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[3].

فموقف الرسول ﷺ من أسرى بدر، وهم أساطين مكة الذين آذوا المسلمين، وعذبوا ضعفاءهم، وقتلوا العديد منهم - يوحي - بلا شك - إلى أن الإسلام ما أجبر الناس على الدخول تحت وطأة التهديد بالسيف؛ فلو كان الأمر - كذلك - ما قبل الرسول ﷺ منهم فداء بل وما استشار أحداً منهم، ولأعمل فيهم السيف حين أصروا على كفرهم بالإسلام، وعلى عداوتهم له، وتحرشهم به، وكان للإسلام في

---

١ - سورة يونس: ٨٧ .

٢ - انظر "البداية والنهاية" لابن كثير ص٢٩٦ ، ٢٩٧ ، ٢٩٨ ، ٢٩٩ ، ٣٠٠ جـ٢.

٣ - سورة الأنفال: ٦٧ .

ما فعله بهم عذره؛ فهم المحاربين له الذين لا تزال دماؤهم تغلى بالحقد على المسلمين، وسيفهم بأيديهم لا تزال تقطر من دمائهم.

ولكن قد يقال: إذا كان هذا منهج الإسلام فلماذا عاتب الحق رسول الله ﷺ حتى بكى رسول الله فبكى معه أبو بكر طالما أن هذا هو منهج الإسلام فى معاملة الأسرى؟

ويجاب على هذا:

١ - بأن الوحى ما ألغى الحكم بل أبقاه وعاتب عليه فقط، ولو كان خطأ ما أقرهم الوحى عليه، ولأبطله، ولأمر بضرب أعناق الأسرى خاصة وأنهم بقوا فى الأسر فترة، بعد نزول هذه الآية وقبلها؛ فالوحى ما يقر خطأ أبداً، ولا يبقى عليه.

٢ - أن عتاب الله (تعالى) لرسوله ﷺ لا علاقة له بإجبار الناس على الدخول فى الإسلام بقوة السيف، إنه منصب أولاً وآخراً على قوة المسلمين، وإضعاف خصومهم المحاربين لهم، وإرهابهم، وهذا - فى منظورنا منطق يستقيم تماماً مع ظروف الدعوة آنذاك، وهذا ما يفيده النص:

قال (تعالى): ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾. فهو عتاب من الله (تعالى) على صواب مفضول، وهو يريد من عباده الأصوب، دائماً.

٣ - أن ظروفهم كانت تحتم عليهم ضرب أعناق خصومهم فى ميدان القتال بدلاً من أخذهم أسرى: إرهاقاً لخصومهم الذين ناصبوهم العداء بمكة ما يقرب من خمس عشرة سنة ولا يزالون؛

فهم فى أول صراع مسلح لهم مع المشركين؛ وقد أضحوا قوة لـــها جيش وسيف ودار وسط صحراء تموج بالعداوة لهم، والكفر بدينــهم، وقد أذن لهم فى القتال بانهم ظلموا، ومكانهم فى الأرض لا يزال قلقاً مهدداً بقوى البغى المسلطة عليهم من هنا وهنـــاك، فكـــان الأولـــى وحالتهم هذه أن يضعفوا عدوهم بقتلهم ما أتيحت لهم فرصـــة لذلــك حتى تتفك قبضة العدو عنهم، وتتراخى يده دون الوصـــــول إليـــهم، فتثبت أقدامهم، وآنذاك يكون منهج الإسلام الثابت فى معاملة الأسرى حتى تحقق الأثخان فى الأرض. ﴿ فَإِذا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَـــرْبَ الرِّقَاب حَتَّى إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّـــا مَنًّـــا بَعْـــدُ وَإِمَّـــا فِدَاءً... ﴾(1).

ومما يؤكد ما ذهبنا إليه ما جرى عليه الخلفاء الراشدون بعـد رسول الله ﷺ وهم أولى الأمة بالاتباع والاقتداء والتطبيـــق؛ فـــهم (رضوان الله عليهم) لم يقتلوا الأسير ولم يأمروا قوادهم بقتله إلا فـــى حالات معينة يكون الأسير فيها قد ارتكب قبل القتال أو أثنـــاءه مـــا يوجب القتل حتى وإن لم يقاتل فيقع أسيراً، أما فيما عدا هذه الحـــالات فقد كان: إما المن بلا فداء، أو الفك بفداء(*).

٤ - النتيجة التى ترتبت على قبل الفداء وفك الأسرى؛ فقـــد كان فيهم من هداه الله (تعالى) للإسلام فكـــان سـيفاً إلـــى سـيوف المسلمين، ودرعاً لهم.

---

١ – سورة محمد : ٤ .

* - لنا مزيد بسط لهذا الموضوع فى غير هذا الموطن – بمشيئة الله (تعالى).

والخلاصة أن الحكم هنا يحفظ ولا يقاس عليـــه، وأن العتـاب هنـــ لظرف حتمتها حالة المسلمين فى صراعهم الأول للكافرين؛ فقد كـــانت غـزوة بدر هى المعركة الأولى بين المسلمين والمشركين، كان المسلمون مـــا يزالـــون قلة، والمشركون ما يزالون كثرة، ونقص عدد المشـــركين بقتلـــهم لا أســـرهم وفدائهم مما يكسر شوكتهم، ويذل كبريائهم، ويعجزهـــم عـــن معـــاودة الكـــرة على المسلمين؛ فهذه غاية لا يعدلها المال مهما كان عـــدده، تعـــددت حاجـــات المسلمين إليه، كما كان للقتل دون الأســـر غايـــة أخـــرى أبـــان عنـــها أمـــير المؤمنين: عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين قال - معللاً لرأيه فى ضـــرب أعنـــاق الأسرى - "..... وحتى يعلم الله أن ليس فى قلوبنا هوادة للمشركين".

ويبقى فى نهاية المطاف أن نقـــرر أن الإســـلام ل حـــارب لإجبـــار الناس على الدخول فيه بقوة السيف ما استبقى لمستســـلم رأســـاً علـــى كتفيـــن، وما من على أسير بعفو، وما فك قيده بفداء مهما غلا ثمنه؛ فإنها لواحـــدة مـــن اثنتين: إما الإسلام، وإما القتل. لكنه لم يفعل، فعفا بلا مقابل، وأطلـــق بفـــداء، بل قال يبين إكرام المسلمين لهم، وإكرامه المسلمين لإكرامهم:

قال (تعالى): ﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِـــيرًا (٨) إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لاَ نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلاَ شُكُورًا (٩) إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا (١٠) فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّـــاهُمْ نَضْـــرَةً وَسُرُورًا (١١) وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾[1].

ولقد بلغ من إكرام المسلمين للأسرى إئتماراً بهذا الأمر، وطمعاً فـــى هذا الأجر أنهم كانا يطعمون أسراهم طيب الطعام، ويكتفوا بالتمر.

---

١ - سورة الإنسان من ٨ إلى ١٢ .

قال (تعالى): ﴿ مَنْ كَفَرَ باللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[١].

يقول صاحب تفسير المنار عند تفسير الآية الأولى[٢]:

"**قال الأستاذ الإمام (رحمه الله - تعالى -):**

كان معهوداً عند بعض الملل - لا سيما النصارى - حمل الناس على الدخول في دينهم بالإكراه؛ وهذه المسألة ألصق بالسياسة منها بالدين؛ لأن الإيمان - وهو أصل الدين وجوهره - عبارة عن إذعان النفس، ويستحيل أن يكون الإذعان بالإلزام والإكراه، وإنما يكون بالبيان والبرهان؛ ولذلك قال (تعالى) بعد نفي الإكراه: ﴿ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنْ الغَيِّ﴾. أي قد ظهر أن في هذا الدين الرشد والهدى والفلاح والسير في الجادة على نور، وأن ما خالفه من الملل والنحل على غي وضلال".

إن الدين هدى من الله (تعالى) يحمله رسله لهم، ويعرضونه عليهم مؤيداً بالأدلة الواضحة، والبراهين الساطعة، ورسل الله (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين) لم يبعثوا جبارين ولا مسيطرين، وإنما بعثوا مبشرين ومنذرين.

وللبحث بقية، وتفصيل لما أُجمل

د/ عبدالسلام عبده

---

١ - سورة النحل : ١٠٦ .

٢ - تفسير المنار للشيخ / محمد رشيد رضا جـ ٣ ص٣١ .